الفصل الخامس

سقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى
(٤٧٦م)

كان من الممكن أن تحافظ الأمبراطورية الرومانية على وحدتها وتماسك بنائها، خلال الفترات التى تعرضت فيها لغزوات الشعوب الجرمانية والمتبربرة. ولكن سوء أحوالها الاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الأباطرة الضعاف الذين تولوا أمرها، وتركوا السلطة الحقيقية فى أيدى قواد كانوا فى معظم الأحيان ينتمون فى أصولهم إلى عناصر جرمانية وبربرية، لها أطماع خاصة تعمل على تحقيقها داخل الأمبراطورية، كل ذلك جعل الأمبراطورية عاجزة عن حماية حدودها عندما اقتحمتها تلك الشعوب. ولا يغيب عن البال أن الخطر الخارجى الذى أحاط بالأمبراطورية لم يأت من جانب الشعوب الجرمانية فحسب، فهناك أيضاً خطر الفرس وغيرهم فى الشرق. فكثيراً ما تطلب الأمر أن تواجه الأمبراطورية الخطرين فى وقت واحد، الأمر الذى كان يؤدى إلى ارتباك تحركات القوات الرومانية، ويجعل من الصعب عليها تغطية الدفاع عن الحدود كلها – وهى مترامية الأطراف – فى وقت واحد. ومن ناحية أخرى، اقتضت العمليات الحربية فى كثير من الأحيان، نقل القوات الرومانية من جبهتى الراين والدانوب لدفع خطر الفرس فى الشرق، ونتيجة لذلك وجدت ثغرات فى حدود الأمبراطورية، استطاع الجرمان والمتبربرون النفاذ منها إلى داخل أراضيها.

ويمثل عام ٣٩٥م بداية مرحلة جديدة فى تاريخ الأمبراطورية الرومانية استمرت سنوات طويلة، كانت فى روحها وطابعها نذيراً بتداعى الدولة وانهيارها، خاصة فى الجزء الغربى منها. ففى ذلك العام انقسمت الأمبراطورية إلى قسمين منفصلين بعد وفاة الأمبراطور ثيودوسيوس الأول أو العظيم، الأمر الذى جعل الأحداث فى الشرق والغرب تسير فى طريقين مختلفين. هذا من ناحية، ومن

ناحية أخرى، فإن أية معالجة لأحداث سقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى فى عام ٤٧٦م، لابد أن تبدأ – عن طريق مباشر أو غير مباشر – بعام ٣٩٥م. ومهما يكن من أمر، فقد انقسمت الأمبراطورية إلى قسمين : القسم الشرقى ويشمل تراقيا، وداكيا، وآسيا الصغرى، وسوريا، ومصر، وقد حكم هذا القسم أركاديوس (ت ٤٠٨م) وهو الابن الأكبر، فى الثامنة عشرة من عمره؛ والقسم الغربى ويشتمل على إيطاليا، وبانونيا، ونوريكوم، ودلماشيا، وقد حكم هذا القسم الابن الأصغر هونوريوس (ت ٤٢٣)، وهو فى سن الحادية عشرة. وتجدر الإشارة إلى أن الأمبراطورية سبق أن قسمت على عهد دقلديانوس إلى أربعة أقسام، بهدف الحفاظ على وحدتها، وتيسير حكم أقاليمها المترامية الأطراف، مع احتفاظ الأمبراطور بالسلطات العليا فى يده. ولكن تقسيم الأمبراطورية بعد وفاة ثيودوسيوس ترجع أهميته إلى أن الأمبراطورية ظلت على هذا التقسيم – شرقى وغربى على الرغم من استمرار فكرة وحدة الأمبراطورية. إذ ليس فى الحقيقة ثمة امبراطوريتان، بل امبراطورية واحدة، انقسمت إلى جزئين، تولى حكمها امبراطوران(١). ويرى البعض أن الأمبراطورية الشرقية أو البيزنطية تكونت بحدودها الاقليمية منذ أن قام ثيودوسيوس بتقسيم الامبراطورية بين ولديه أركاديوس وهونوريوس، لاستحالة إلغاء ذلك التقسيم أو القضاء عليه؛ ولاجدال أن الجرمان لعبوا دوراً هاماً فى تأكيد هذا التقسيم، بوقوع الجزء الغربى من الأمبراطورية الرومانية فريسة فى أيديهم، وليس معنى ذلك أن الجزء الشرقى من تلك الأمبراطورية قد ظل بعيداً عن غزوات الجرمان، فالذى حدث أنه تعرض لغزواتهم، وقاسى الكثير من التدمير والخراب على أيديهم، ولكن الجرمان لم يستقروا فى ولايات ذلك الجزء بسبب السياسة التى سار عليها أباطرة ذلك الجزء بتشجيعهم على الاتجاه غرباً(٢).

(١) Katz, The Decline of Rome., pp. 111 - 112.; Vasiliev, The Byzantine Empire., p. 92.;

الباز العرينى، الدولة البيزنطية، ص ٣٨.

(٢) Brehier, The Life and Death of Byzantium., p. 9; Painter, A Hist. of the Middle Ages., p. 33.

والحقيقة التى لا مراء فيها، أن ثيودوسيوس الأول عندما قسم الأمبراطورية بين ولديه، لم يضع فى حسابه أن تقع الأمبراطورية فريسة الشقاق والصراع بينهما، ذلك أنه أراد لهما دولة موحدة تنعم بالاستقرار والهدوء، يتعاونان على القيام بأعبائها، غير أنه لسوء حظه أن أبناءه وأحفاده لم يرثوا كفاءته ومقدرته، فى الوقت الذى صار فيه مصير الأمبراطورية بشقيها معلقاً بين أيدى قادة ووزراء. وبعبارة أخرى صار الجزء الغربى تحت سيطرة القادة العسكريين، أما الجزء الشرقى فكان مصيره فى أيدى الموظفين المدنيين(١). ويعتبر القائد الوندالى العظيم ستليكو Stilicho قائد القوات الرومانية فى غرب أوربا من أهم الشخصيات التى ساهمت فى أحداث تلك الفترة، ذلك أنه سرعان ما بسط نفوذه على هونوريوس، حتى أصبح الأمبراطور الصغير دمية فى يده يحركها كيفما شاء؛ حقيقة أن ذلك القائد قد استبد بالسلطة، ولكنه بفضل مقدرته الحربية استطاع الحفاظ على سلامة الأمبراطورية الغربية؛ ثم كان أن حدث نزاع بينه وبين روفينوس Rufinus فى القسطنطينية، أدى إلى وقوعه ضحية مؤامرة، نسج خيوطها خصومه موظفو البلاط الذين كانوا يحقدون عليه ، ورغم أنه لم تثبت إدانته، إلا أن هونوريوس استمع لهمسات الوشاة، وأصدر أمراً بإعدامه فى راڤنا Ravenna – مقر إقامة الأمبراطور – سنة ٤٠٨م(٢)، كما سبق أن ذكرنا.

أخذت المصاعب تطل برأسها فى الجزء الغربى من الأمبراطورية بعد مقتل ستليكو، إذ واجه هونوريوس مشكلة إعادة نفوذه فى إقليم الغال، بعد أن ظهر منافس له أصله جندى عادى مغمور الشأن يدعى قنسطنطين، أعلن نفسه أمبراطوراً فى بريطانيا سنة ٤٠٦م، ثم شق طريقه على رأس قواته إلى إقليم الغال، مستهدفاً انتزاعه من الجرمان وضمه إلى ممتلكاته، ولكنه عندما وصل إلى هناك اكتفى بعقد معاهدات هزيلة الشأن مع زعماء الجرمان، ثم زحف جنوباً إلى

---

(١) Downey, The Late Roman Empire., p. 71.

(٢) Universal., Vol. 4, Chronicle XIII., pp. 2200 - 2202.; Boak, A Hist. of Rome., p. 378.

أسبانيا حتى وصل أرغون، وعندما استفحل أمره، وألحق بالأمبراطورية خسائر فادحة، اضطر هونوريوس إلى الاعتراف به زميلاً بلقب أوغسطس. وفي تلك الأثناء وقع اختيار الأمبراطور على قنسطنطيوس، وهو محارب قدير من أصل روماني نبيل، ليشغل منصب ستليكو كقائد للقوات الرومانية، وعهد إليه بمهمة القضاء على قنسطنطين في إقليم الغال، فأسرع إلى هنا سنة ٤١١م، واستطاع القضاء عليه عند مدينة آرال Arles[١]. ولم يلبث قنسطنطيوس، بحكم انتمائه إلى صفوة المجتمع الروماني النبيل، أن صار زعيماً للجبهة المناهضة للنفوذ الجرماني في البلاط الروماني، وبلغ من علو المكانة شأناً لم ينافسه فيه أحد، حتى يمكن القول أنه غدا أقرب المقربين إلى قلب الأمبراطور وساعده الأيمن. ولكنه هو الآخر كانت له أحلام خاصة تدور في رأسه، بدأ في تحقيقها بأن أرغم الأمبراطور على أن يزوجه أخته الأميرة جالا بلاسيديا Galla Placidia، وكان القوط الغربيون قد أعادوها للامبراطور بعد أن وقعت أسيرة في أيديهم، وتزوجها ملكهم أثولف طائعة بعد أن وقعت في حبه. أما قنسطنطيوس فكانت لاتميل إليه، ومع ذلك تزوجته على كره منها في عام ٤١٧م؛ وبفضل هذا الزواج صار قنسطنطيوس شريكاً للأمبراطور في الحكم برتبة الأوغسطس سنة ٤٢١م؛ غير أن الأقدار شاءت أن تكتب نهاية أحلامه، إذ لم يلبث أن توفي في نفس العام تاركاً وراءه ولداً من بلاسيديا[٢]، قدر له بعد بضع سنوات أن يعتلي عرش الأمبراطورية. وأعقب ذلك حدوث نزاع بين بلاسيديا وأخيها الأمبراطور، اضطرت بسببه إلى اللجوء – سنة ٤٢٣م – إلى أمبراطور الجزء الشرقي ثيودوسيوس الثاني (٤٠٨ – ٤٥٠م)، ومعها أطفالها الصغار لحمايتها[٣].

---

(١) Sinnigen & Boak, A Hist. of Rome., pp. 457-458.; Hadas, A Hist. of Rome., pp. 227-231.

(٢) Bradley, The Goths., p. 105; Previté-Orton, Shorter Camb. Med-Hist., Vol. I, pp. 87-88; Boak, op. cit., pp. 381-382; Hadas, op. cit., pp. 233-234.

(٣) Universal., Vol. 4, Chronicle III, pp. 2201-2204; Previte-Orton, op. cit., Vol. I, p. 88.

ثم حدث أن مات الأمبراطور هونوريوس فى عام ٤٢٣م دون أن يعقب أولاداً، فقامت مشكلة حول من يخلفه على عرش الأمبراطورية الغربية. وقد حلت تلك المشكلة بتولية حنا John أحد كبار موظفى البلاط أمبراطوراً، وهو من الشخصيات الضعيفة، لم يستطع الوصول إلى منصبه إلا بمساعدة قسطينوس Castinus القائد العام للجيوش الرومانية فى الغرب(١). ولعل ضعفه كان من الأسباب التى جعلت الأمبراطور الشرقى ثيودوسيوس الثانى يصر على عدم الاعتراف به امبراطوراً، ويتهمه باغتصاب العرش. وفى تلك الأثناء كانت جالا بلاسيديا وابنها الطفل فالنتنيان الذى بلغ الخامسة من عمره يعيشان فى القسطنطينية، فاستقر رأى ثيودوسيوس الثانى على ارتقاء ذلك الطفل عرش الأمبراطورية الغربية باسم فالنتنيان الثالث بوصاية أمه بلاسيديا التى منحت لقب أوغسطسا Augusta، أما حنا المغتصب، فقد تولت قوات الأمبراطورية الشرقية مهمة أقصائه عن الحكم، الذى لم يدم فيه سوى سنتين (٤٢٣ – ٤٢٥م)(٢).

وإبان النزاع الذى نشب حول ارتقاء فالنتنيان الثالث (٤٢٥ – ٤٥٥م) عرش الأمبراطورية الغربية، ظهر قائدان على مسرح الأحداث، أحدهما الكونت بونيفاس Boniface حاكم أفريقية، وهو من أصل رومانى، له شهرة واسعة فى الأعمال الحربية، وصيت ذائع فى التقى والورع. والآخر وهو أئتيوس الذى عاش فترة وسط قبائل الهون الذين استقروا فى أعالى الدانوب، واستطاع أن يحتفظ بعلاقات طيبة معهم. وقد بدأ الصدام بين القائدين عندما وقف أئتيوس فى صف حنا المغتصب، فأحضر معه جيشاً من الهون للعمل كمرتزقة تحت إمرته، ولكنه وصل إلى إيطاليا بعد أن أقصى حنا عن العرش. وقد لفتت شخصية أئتيوس الأنظار، وتركزت الأضواء حولها، عندما استطاع فى عام ٤٢٩م التخلص من منافسه فيلكس Felix، وكان الأخير قد خلف قسطينوس فى منصب القائد العام

---

(١) Previté-Orton, op. cit., Vol. I, p. 88.

(٢) Lot, The End of the Ancient World., pp. 206-207; Previté-Orton, p. 89.

للجيوش الرومانية فى إقليم الغال، وبذلك شغل هو ذلك المنصب، أو بالأحرى صار صاحب النفوذ فى الغرب الأوربى[١]. وقد أثار ما فعله أئتيوس مخاوف بلاسيديا، وخشيت من ازدياد نفوذه، ولذلك اعتزمت كسر شوكته والقضاء عليها، واضعة آمالها فى الكونت بونيفاس الذى كان مشغولاً فى حروبه مع الوندال، وعندئذ جرى استدعاؤه، فحضر مسرعاً إلى إيطاليا فى عام ٤٣٢م، وعينته فى منصب القائد العام للجيوش الرومانية الذى خلا بمقتل فيلكس. ومن الطبيعى أن ما قامت به بلاسيديا أثار حفيظة أئتيوس، فلم يقف ساكناً، وتصدى لمنافسه بونيفاس بالقرب من أريمنيوم (ريميني) Ariminum فى إيطاليا، بيد أنه لقى الهزيمة وأرغم على الفرار إلى أصدقائه الهون. غير أن بونيفاس لم ينعم طويلاً بلذة النصر الذى أحرزه على خصمه، إذ مات عقب ذلك، وبذلك خلا الجو لأئتيوس من وجود منافس له، فعاد على رأس قواته إلى إيطاليا فى العام التالى (٤٣٣)، وفى هذه المرة أجبر بلاسيديا على تعيينه قائداً عاماً للقوات الرومانية. ومنذ ذلك الوقت حتى وفاته سنة ٤٥٤م، صار أئتيوس صاحب النفوذ المطلق فى الأمبراطورية الغربية، يدير شئونها، ويستقبل السفراء الأجانب، ويعقد المعاهدات معهم بدلاً من الأمبراطور[٢].

ورغم أن أئتيوس قد حجب الأمبراطور فالنتنيان الثالث وأمه بلاسيديا عن السلطة والنفوذ، بحيث لم يعد لهما منهما إلا ظلا ضئيلاً، فالحقيقة التى لانستطيع انكارها أنه حمى الأمبراطورية ضد أعدائها من الشعوب الجرمانية والمتبربرة. ذلك أنه وجه كل جهوده للحفاظ على نفوذ الأمبراطورية فى إقليم الغال، بدليل أنه نجح فى كبح جماح الفرنجة فى الشمال، والبرجنديين فى الشرق، والقوط فى الجنوب الغربى. وينسب إليه الفضل فى الوقوف ضد الخطر الهونى، وكانت جحافل الهون المتبربرة قد استولت على المنطقة التى تشغلها حالياً هنغاريا ورومانيا وجنوب روسيا. وكما مر بنا من قبل، كان الهون يتألفون

---

(١) Hoyt & Chodorow, op. Cit., p. 60; Boak, op. cit., p. 383.

(٢) Sinnigen & Boak, op. cit., p. 458.; Boak, op. cit., pp. 383.

من شعوب جرمانية متفرقة، نجح أتيلا فى توحيدها تحت زعامته القوية سنة ٤٤٤م، وبدأ يزحف بهم غرباً. ومما يجدر ذكره أن أتيلا ظل محافظاً على صداقته مع أئتيوس حتى ذلك الوقت، بيد أن أطماعه فى أراضى الأمبراطورية، لاسيما بلاد الغال، قلبت الصداقة إلى عداوة. ويظهر ذلك بوضوح عندما طلب أتيلايد هونوريا Honoria أخت الأمبراطور ڤالنتنيان الثالث، واشترط أن تكون بائنتها نصف الأمبراطورية الغربية. وكان أمراً طبيعياً أن يرفض الأمبراطور التنازل عن شبر من ممتلكاته لذلك الزعيم المتبربر، فألقى بمطالبه عرض الحائط. وقد رد أتيلا على الأمبراطور بعبور نهر الراين، ثم قام بفرض الحصار العنيف على أورليانز. وأمام ذلك الخطر المشترك – خطر الهون الداهم – وقف الرومان وحلفاؤهم من الجرمان فى إقليم الغال وقفة رجل واحد، كانت بداية النهاية للهون، ونقصد بذلك معركة شالون الفاصلة (٤٥١م) بين الهون بزعامة أتيلا وارتداده عبر الراين[١] يجر أذيال الفشل ويلعق مرارة الهزيمة. غير أن فشل الحملة التي قام بها أتيلا فى إقليم الغال لم يترتب عليها إضعاف معنوياته أو قواته العسكرية، بدليل أنه فى العام التالى (٤٥٢م) زحف بقواته على إيطاليا، ولكن تفشى المجاعات والأوبئة بين قواته، فضلاً عن وصول قوات من الأمبراطورية عززت الموقف، كل ذلك جعل أتيلا، مع ما اتصف به من صلف وكبرياء ووحشية، يصغى للسفارة التى رأسها البابا ليو الأول، ويقبل الانسحاب من أمام أسوار روما. وشاء الموت أن يضع نهاية أتيلا سنة ٤٥٣م، الأمر الذى ألحق التفتت والانهيار بامبراطوريته الواسعة. ويروى المؤرخ جيبون[٢] أنه فى الليلة التى مات فيها أتيلا، شاهد الأمبراطور الشرقى مرقيان (٤٥٠ – ٤٥٧) Marcian فى حلمه قوس أتيلا محطماً، وقد تدل هذه الرواية على أن طيف ذلك الزعيم البربرى الرهيب قلما كان يفارق ذهن الأمبراطور الرومانى.

---

(١) Boak, op. cit., pp. 383 - 384; Hadas, op. cit., p. 244.

(٢) اضمحلال الأمبراطورية الرومانية وسقوطها، جـ ٢ ص ٢٩١.

غير أن أئتيوس لم يعش طويلاً بعد أن زال خطر الهون. وكأن الأقدار قد أخرت موته طالما ظلت الأخطار تمسك بعنق الأمبراطورية؛ وبعبارة أخرى، يمكن القول أن سلطته المطلقة ظلت باقية بقاء الأخطار، فإذا مازالت ضعف نفوذه، وانحسرت الأضواء من حوله. والحق أن نجم أئتيوس بدأ فى الأفول بعد موت جالا بلاسيديا فى ٢٧ نوفمبر سنة ٤٥٠م، وكانت قد صفحت عنه وأقرته فى منصب القيادة، فتعاون معها مدة طويلة. وبموتها خرج الأمبراطور ڤالنتنيان الثالث من إسار الوصاية، وخلع عنه رداء الضعف والتبعية. ولكن تربيته التى أنشأتها أمه كانت غير صالحة، فيها الكثير من التدليل والنعومة، أثرت على سلوكه عندما شب عن الطوق، فامتلأ قلبه بالشر، ودأب على مرافقة السحرة والمنجمين، ومطاردة النسوة المتزوجات، ومطارحتهن الغرام، رغم أن زوجته كانت رائعة الجمال(١). ولما كان يكره أئتيوس بدافع من الحقد الشخصى المقوت، فقد ازداد حقده عندما طلب أئتيوس يد يودكيا Eudocia ابنة الأمبراطور لابنه جودنتيوس Gaudentius، ولم يكن بوسع الأمبراطور آنذاك غير إبداء موافقته مرغماً، ولكنه فى قرارة نفسه اعتبر ذلك الطلب مهانة لشخصه، وتأكيداً لما كان يساوره من شكوك حول أئتيوس، ولذلك بيت النية على التخلص منه، فاستدرجه إلى القصر الأمبراطورى فى ٢١ سبتمبر سنة ٤٥٤م بحجة مناقشته فى موضوع الزواج، ولم يكد القائد يدخل القصر، حتى بادره الأمبراطور على الفور بطعنه من سيفه، وكان أول سيف يستله فى حياته، تلتها طعنات من رجاله حتى أجهزوا عليه، وقبل أن يعرف أصدقاء أئتيوس المقربون حقيقة ما حدث، استدرجهم الأمبراطور واحداً بعد الآخر وقتلهم بنفس الطريقة(٢). وهكذا انتهت حياة أئتيوس «آخر الرومان العظام»، كما انتهت من قبل حياة القائد الوندالى ستليكو على يد هونوريوس.

---

(١) Hadas, op. cit., p. 238.

(٢) Boak, op. cit., p. 284; Universal., Vol. 4, Chronicle VIII, p. 2267.; Simons, The Birth of Europe., p. 40;

إبراهيم طرخان، نهاية الأمبراطورية الرومانية فى الغرب، ص ٧٢.

والحقيقة أن مقتل أئتيوس كان خطأ فادحاً ارتكبه فالنتنيان الثالث، فما أداه من خدمات جليلة للأمبراطورية قوبلت – للأسف – بالجحود والنكران. وقد علق مؤرخ معاصر على اختفاء أئتيوس من مسرح الأحداث الأوربية قائلاً : «بموت أئتيوس ضاع الأمل فى إنقاذ الأمبراطورية وخلاصها»(١). ولكن أنصار أئتيوس لم ينسوا ما حدث لزعيمهم، فانتقموا لمقتله بطعن الأمبراطور طعنات قاتلة، أثناء مشاهدته بعض الألعاب العسكرية فى العام التالى (١٦ مارس سنة ٤٥٥م)(٢). وبمقتل ڤالنتنيان انتهى حكم آخر امبراطور من أسرة ثيودوسيوس الأول(٣) فى شرقى الأمبراطورية الرومانية وغربيها، ودخلت الأمبراطورية الغربية فترة من الفوضى والاضطراب، لعب فيها القادة العسكريون دوراً بارزاً، إذ صارت أقدار الأمبراطورية تحت رحمتهم، بيدهم تولية الأباطرة وعزلهم، بدليل أنه فى خلال الواحد والعشرين عاماً التى أعقبت اغتيال فالنتنيان الثالث، اعتلي عرش الأمبراطورية الغربية تسع رجال، كان معظمهم ألعوبة فى أيدى أولئك القواد(٤). أضف إلى هذا أن الشخصيات الرومانية الطموحة أخذت تحارب بعضها بعضاً أملاً فى الوصول إلى العرش، وفى سبيل تحقيق ذلك الأمل لم تتورع عن الاستعانة بالجيوش المرتزقة فى إيطاليا، أو بالقبائل الجرمانية المقيمة فى الأجزاء الأخرى من الغرب(٥).

بعد مقتل ڤالنتنيان الثالث استطاع بترونيوس ماكسيموس Petronius Maximus، وهو أحد أعضاء السناتو الطاعنين فى السن، الوصول إلى عرش

---

(١) Pirenne, op. cit., p. 30.

(٢) Lot, The End of the Ancient World., p. 208.

(٣) بمقتل الأمبراطور ڤالنتنيان الثالث، انتهى حكم أسرة ثيودوسيوس الأول أو العظيم، وهى الأسرة التى حكمت الجزء الشرقى من الأمبراطورية بين سنتى ٣٧٨ و٤٥٣، أى من سنة ارتقاء ثيودوسيوس العرش حتى وفاة بولكيريا Pulcheria ابنة أركاديوس، كما حكمت نفس الأسرة الجزء الغربى بين سنتى ٣٩٤ و٤٥٥، أى من سنة اشتراك هونوريوس مع أبيه فى الحكم حتى مقتل ڤالنتنيان الثالث.

(٤) Downey, The Late Roman Empire., p. 82; Hoyt & Chodorow, op. cit., p. 68.

(٥) Sellery & Krey, Medieval Foundations of Western Civilization., p. 26.

الأمبراطورية الغربية. ولم يلبث ماكسيموس أن أجبر ايودوكسيا Eudoxia أرملة فالنتنيان الثالث على الزواج منه. غير أنه لم يهنأ بالعرش الأمبراطورى سوى أربعة أشهر، إذ حضر جزريك الأعرج الوندالى بأساطيله وجموعه الضخمة قادما قرطاجنة إلى إيطاليا. ولما رسا علي مصب نهر التيبر فرماكسيموس من الجموع الغاضبة التى تركها تواجه مصيرها لحقت به، وفتكت به، ومثلت بجثته أشنع تمثيل، ثم ألقت بها نهر التيبر. وتلا ذلك أن دخل جزريك مدينة روما دون مقاومة فى ٢ يونيو سنة ٤٥٥م، واستمرت جماعته تقوم بعمليات النهب والسلب والتدمير قرابة أسبوعين، قاست المدينة خلالها أشد مما قاست على أيدى ألاريك القوطى سنة ٤١٠م. وقبل أن يترك ألاريك روما حطاماً، قام بنقل ما فى القصر الأمبراطورى من كنوز، وكل ما كان باقياً فى بيوت الأغنياء من الحلى والتحف الثمينة(١).

وفى تلك الأثناء ظهرت شخصية القائد أفيتوس Avitus، وهو من أسرة عريقة نبيلة فى ولاية أوفيرن Auvergne بإقليم الغال، اشتهر بالمقدرة السياسية والبراعة الحربية، وظهرت براعته فى الحروب التى خاضها من أجل الأمبراطورية الغربية، لاسيما معركة شالون الشهيرة، فقد لعب دوراً هاماً فى الحصول على مساعدة حلفائه القوط الغربيين، ثم هو من ضباط القائد العظيم أئتيوس الذين رافقوه طيلة ثلاثين عاماً؛ ونظراً لكفاءته ونجاحه فى المهام التى كلف بها، فقد ارتقى إلى وظيفة الحاكم البريتورى فى الغال، وهى وظيفة ذات اختصاصات قضائية، ثم أنعم عليه الأمبراطور ماكسيموس بتعيينه فى منصب القيادة العامة للقوات الرومانية فى بلاد الغال، وبذلك صار صاحب الكلمة النافذة فى شئون الأمبراطورية(٢).

---

(١) Hadas, op. cit., p. 242; Bradley, The Goths, pp. 114 - 115; Lot & Dfister and Ganshof, Histoire du Moyen Age., p. 69.

(٢) Hadas, op. cit., p. 243; Lot & Dfister, op. cit., p. 78; Dill, Roman Society in the Last Century, p. 325.

فكر أفيتوس فى أن يملأ العرش الأمبراطورى الشاغر دون إراقة دماء، ويبدو أنه قبل أن يقدم على ذلك طلب إعانة حلفائه القوط الغربيين، فأظهروا له استعدادهم لمساعدته، ويؤكد ذلك أنهم عقدوا مجلساً فى مدينة آرل Arles (عاصمة الغال) حضره زعماء الغال والرومان وقادة الجيش الرومانى، نادى بإعلان أفيتوس أمبراطوراً على الرومان فى ٩ يوليو سنة ٤٥٥م، ووافق أفيتوس، وبذلك صار ذلك الأمبراطور صنيعة القوط الغربيين؛ ولم يلبث أن توجه أفيتوس إلى إيطاليا، فوصل روما فى ٢١ سبتمبر من نفس العام؛ وحتى لا يبدو فى صورة مغتصب للعرش، كان لابد له من الحصول على موافقة الأمبراطور الشرقى مرقيان (٤٥٠ – ٤٥٧)، فوافق الأخير على مضض بعد أن وجد نفسه عاجزاً عن الوقوف أمام أقوى شخصية فى الغرب الأوربى، يساندها القوط الغربيون آنذاك[١]. على أنه بعد انقضاء قرابة عام على أفيتوس فى منصب الأمبراطور، حدثت مجاعة فى روما بسبب انقطاع إمدادات القمح من أفريقية، أدت إلى خروج موقف أفيتوس، فى الوقت الذى دبرت فيه مؤامرة ضده، قام بها ريكيمر Ric-emer أحد قادة الفرق البربرية والمسئول عن حماية إيطاليا، مع صديقه ماجوريان Majorian أحد النبلاء الرومان العسكريين، وسرعان ما ظهرت تلك المؤامرة فى صورة عصيان، جعل أفيتوس يقرر أن يتوجه إلى إيطاليا للقضاء عليه، ولكن الموقف لم يكن فى صالحه، إذ انفض الناس من حوله، فى وقت كان صديقه ثيودوريك الثانى ملك القوط الغربيين متغيباً فى أسبانيا على رأس جموعه، لتطهيرها من شعوب السويفى الجرمانية. وكان أن أكره ريكيمر الأمبراطور على التنازل عن العرش[٢].

وعلى أى حال، فمنذ عام ٤٥٦م، وهو العام الذى عزل فيه أفيتوس، حتى عام ٤٧٢م، سيطر ريكيمر طوال تلك الفترة على مصير الأمبراطورية الغربية[٣].

---

(١) Lot & Dfister and Ganshof, op. cit., pp. 78 - 79.

(٢) Lot & Dfister and Ganshof, op. cit., p. 79.

(٣) Lot & Les Invasions Germaniques., p. 115; Taylor, op. cit., p. 83.

وصار صاحب النفوذ الفعلى فيها يقيم العروش ويثلها، يصنع الأباطرة ويخلعهم. وبمعنى آخر، أضحت الأمبراطورية فى قبضة القواد العسكريين؛ الذين يأتى ريكيمر فى مقدمة سلسلتهم. ومن ناحية المولد، فهو – أى ريكيمر – من أب ينحدر من بيت أمارة سويڤى، وأمه ابنة واليا[١] Wallia، الذى أسس مملكة القوط الغربيين فى تولوز سنة ٤١٨م. وفضلاً عن ذلك، له أخت قد تزوجت من جونديك Gundiac ملك برجنديا، صار ابنها جندوباد بعد أن نفاه أخوه شلبريك الثانى، يده اليمنى، ثم خليفته فى روما. وجندوباد هذا هو الذى قدر له بعد ذلك الرجوع من منفاه إلى مملكة برجنديا، والإطاحة بأخيه. وإذا كنا قد أشرنا من قبل إلى ذلك، فإن الغرض من التكرار هذه المرة تبيان أن ريكيمر لم يكن مجرد مغامر بربرى، ولكنه من ناحية المنشأة ونبل المحتد، يضارع فى أصله أعظم النبلاء الرومان عراقة. ويكفى ريكيمر فخراً أنه ينتمى إلى النبالة الجرمانية التى كرست حياتها لخدمة الأمبراطورية، وهى فى ذلك تختلف عن الارستقراطية الرومانية – سواء فى الغال أو إيطاليا – التى لم يكن لها خبرة واسعة بفنون الحرب آنذاك، بعد أن سحرتها الثقافة الأدبية، فعاشت فى عالم الوهم، وغرقت فى لجة الضعف، تحاول إحياء ماض اندثر منذ زمن بعيد، بعكس الزعماء البرابرة، الذين كانوا يعيشون فى عالم الحقيقة القاسية، مؤمنين بأن المستقبل لهم، وهو عالم يناقض تماماً عالم الارستقراطية الرومانية. ومن المعروف أن ريكيمر كان محارباً عظيماً، له سجل حافل بالأمجاد الحربية، وأيسر ما يقال فى هذا الشأن أنه كان ينتمى إلى مدرسة أئتيوس، تلك المدرسة التى أنجبت العسكريين العظام، ممن كان لهم الفضل فى إحياء الأمجاد العسكرية من ناحية، ومحاولة إرجاع النفوذ الرومانى إلى ما كان عليه من ناحية أخرى[٢]. وقد تدرج ريكيمر فى المناصب، فحصل أولاً على لقب كونت، ثم القائد العام للقوات الرومانية، وأخيراً حصل على لقب البطريق Patriciate – عام ٤٥٧م – الذى

---

(١) Lot & Dfister and Ganshof, op. cit., p. 79., Barker, "Italy and the West", p. 422.

(٢) Dill, Roman Society in Gaul., p. 18.

يعطى صاحبه أسمى منزلة بعد الأمبراطور؛ وفى الفترة التى ارتفع فيها شأن ريكيمر تقلد المنصب الأمبراطورى خمسة من الأباطرة، اثنان منهم رفعهم إلى العرش، وأربعة منهم ثل عروشهم أو حكم عليهم بالموت(١).

بعد أن عزل ريكيمر، صار المنصب الأمبراطورى فى الأمبراطورية الغربية شاغراً، وكان بوسع ريكيمر أن يتقلده، ولكن أصله البربرى حال دون تحقيق تلك الرغبة. وعلى أى حال، فقد مكن ريكيمر صانع الأباطرة فى الغرب الأوربى صديقه القدير ماجوريان Majoran من ارتقاء عرش الأمبراطورية الغربية، لاسيما بعد أن حاز ماجوريان إعجاب الرومان بانتصاره الساحق على قبائل الأليمانى. ومنذ اليوم الأول الذى تقلد فيه ماجوريان المنصب الأمبراطورى لم يدخر وسعاً فى إعادة الأمن والنظام إلى الولايات، كما أنه أحس بما تعانيه تلك الولايات من تدهور الأحوال الاقتصادية والاجتماعية، فعول على تخفيف الأعباء عن كاهلها، ومن ثم أصدر عدة قوانين تساعد على ذلك(٢). على أنه لم يوفق فى مشروعه الحربى الضخم ضد الوندال، الذين حطموا أسطوله أمام قرطاجنة سنة ٤٦٠م، بفضل دهاء زعيمهم جزريك. ومما يؤسف له أن أعمال ذلك الأمبراطور وجهوده من أجل رفعة الأمبراطورية وسعادتها لم ترض أطماع ريكيمر صاحب السلطة الفعلية، كما أنها لم تستطع أن تنقذه من ثورة عارمة قام بها أتباع ريكيمر ضده قرب مدينة تورتونا Tortona عند سفح جبال الإلب، انتهت إلى إرغامه على التنازل عن العرش فى ٧ أغسطس سنة ٤٦١م، وبعد خمسة أيام من تنازله أشيع موته بسبب مرض الدوسنتاريا؛ وقد اختلفت الآراء حول موته، والراجح أنه قتل غدراً بإيعاز من ريكيمر الذى أخذته الغيرة من نشاطه(٣). ويلمس المتتبع لأحداث الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى أن ماجوريان

---

(١) Ibid., pp. 18 - 19.

(٢) Dill, Roman Society in the last Century, p. 340; Downey, op. cit., p. 83.

(٣) Bréhier, The Life and Death of Byzantium., p. 12; Hadas, op. cit., p. 243; Barker, op. cit., pp. 423 - 424.;

جيبون، اضمحلال الأمبراطورية، جـ ٢ ص ٣٠٦ - ٣١١.

كان آخر أباطرة تلك الأمبراطورية حقيقة، ذلك أنه كان يحكم إيطاليا، وجزءاً عظيماً في إقليم الغال، وبعض أجزاء من أسبانيا، أما الأباطرة الذين تقلدوا عرشها خلال الخمسة عشر عاماً الباقية من عمرها، فقد كانوا في الواقع أشباحاً هزيلة ليس لها من الأمر شيء، بدليل أنها لم تمارس إلا نفوذاً صورياً في إيطاليا فقط(١).

ولم يلبث ريكيمر صانع الأباطرة أن قلد صنيعته ليبيوس سيڤيروس (٤٦١ – ٤٦٥م) Libius Severus المنصب الأمبراطوري. والواقع أننا لا نعرف عن ذلك الأمبراطور شيئاً إلا أنه كان أشد أباطرة تلك الفترة غموضاً وأقلها شأناً، وليس أدل على ذلك من أن القسطنطينية لم تشأ الاعتراف به امبراطوراً، كما أن الرومان في الغال لم يعترفوا به فحسب، بل اتجهوا بأنظارهم نحو الأمبراطورية الشرقية؛ ومهما يكن من أمر، فقد توفي سيڤيروس في عام ٤٦٥م، وظل ريكيمر يمارس نفوذه وسلطته في الأمبراطورية الغربية(٢).

ولم تكن الأحوال التي أحاطت بالجزء الشرقي من الأمبراطورية تختلف كثيراً آنذاك عن أحوال الجزء الغربي منها. فبعد وفاة الأمبراطور مرقيان Marcian تولى عرش الأمبراطورية الشرقية ليو الأول (٤٥٧ – ٤٧٤) Leo I، وهو ضابط من أصل داكي، يرجع الفضل في تعيينه إلى أسبار Aspar الآلاني الأصل، صاحب السلطة الفعلية في الأمبراطورية الشرقية، وينافس نفوذه نفوذ ريكيمر في الغرب. ومن الملاحظ أن قوة أسبار كانت تستند إلى القوط الشرقيين، الذين ازدادت أعدادهم في الشرق بعد زوال امبراطورية الهون، بالإضافة إلى أن الأمبراطورية اتفقت معهم على إمدادها بالرجال وقت الحاجة نظير مبلغ سنوي ضخم(٣). وكان لأسبار آماله وأطماعه الخاصة في الأمبراطورية الشرقية، فقد

---

(١) Lot & Dfister and Ganshof, op. cit., p. 83.

(٢) Dill, Roman Society in Gaul, p. 19; Roman Society in the Last Century, p. 340; Downey, op. cit., p. 83.

(٣) Bradley, The Goths., p. 133.

كان يأمل فى وصول ابنه باتريكيوس Patricius إلى العرش، ولذلك اتفق مع ليو الأول على ترقيته إلى منصب قيصر طبقاً للنظام الذى أوجده دقلديانوس، حتى يتمكن الأبن من الوصول إلى العرش فيما بعد(١). غير أن ليو لم يكن فى الواقع غافلاً عما يعتل فى ذهن أسبار، فقد عزم منذ اليوم الأول الذى ارتقى فيه العرش على الحد من نفوذ أسبار والقوط الشرقيين معاً، وشرع فى تحقيق رغبته مستعيناً بالأيسوريين المحاربين Isaurians وهم أصلاً أهل جبال مرتفعات أيسوريا بجنوب آسيا الصغرى، فى المنطقة الواقعة بين قيليقية وفريجيا، عرفوا بالمغامرة والميل إلى الحرب، وكانوا أشد مراساً من البرابرة أنفسهم؛ ومن زعمائهم الذين عملوا تحت طاعة ليو الأول بالقسطنطينية تراسيكوديسا Trara-sicodissa، الذى اتخذ لنفسه اسما يونانياً هو زينون Zeno، إحياء لذكرى أحد مواطنيه الذى وصل إلى منصب هام فى الأمبراطورية من قبل، ولم يلبث أن عينه الأمبراطور قائداً عاماً للجيوش فى الشرق magister militum per Orien-tem وزوجه من كبرى بناته أريادن Ariadne سنة ٤٦٦م.

وفى تلك الأثناء ظهر خطر البحرية الوندالية التى دأبت على تهديد تجارة ومواصلات الأمبراطورية فى مياه البحر المتوسط. وكان لظهور ذلك الخطر أثره فى تغيير سياسة ريكيمر تجاه الأمبراطورية الشرقية، بغية الحصول على مساعدتها ضد ذلك الخطر. وترتب على ذلك أن صار الشطر الشرقى من الأمبراطورية يهتم بما يجرى من أحداث فى الغرب. وبعبارة أخرى غدا الأمبراطور الشرقى يمارس نفوذاً اسمياً على الغرب، إذ ظل النفوذ الحقيقى فى أيدى ريكيمر. ولما كان العرش الأمبراطورى الغربى مازال شاغراً بعد وفاة سيفيروس سنة ٤٦٥م، فقد وقع اختيار ليو الأول فى عام ٤٦٧م على أنثميوس Anthemius لشغله، كما تقرر فى الوقت نفسه تجهيز حملة ضخمة ضد مملكة الوندال في أفريقية، وحتى يتأكد التعاون بين الأمبراطوريتين – الشرقية والغربية – جرى زواج ريكيمر من أبنة أنثميوس. على أن ما لقيته الحملة من فشل ذريع،

(١) Lot, The End of the Ancient World., p. 218.

علاوة على ما سببته من خسائر جسيمة فى الأرواح والأموال، أفلست خزانة الأمبراطورية الشرقية، أدى ذلك كله إلى إحباط سياسة الوفاق القائمة بين شطرى الوادى من ناحية، وازدياد الكراهية للجرمان من ناحية أخرى. وفى وسط تلك الظروف اتهم أسبار وابنه بالخيانة فى كارثة الأسطول الرومانى أمام قرطاجنة، وانتهى الأمر إلى إعدامهما، والتخلص من جميع أفراد أسرتهما فى عام ٤٧١م(١).

وبينما كانت الأحداث تجرى فى الأمبراطورية الشرقية على هذا النحو، أخذت العلاقات بين ريكيمر وأنثميوس تسوء. ذلك أن أنثميوس ضاق ذرعاً بالقيود التى فرضها ريكيمر، وعزم على التحرر من سطوته، فى الوقت الذى أثارت حفيظة ريكيمر صلات التعاون والتقارب بين الأمبراطور الشرقى وصنيعته أنثميوس. ولم تلبث روح العداء أن ظهرت سافرة بين الشخصيتين، فجمع ريكيمر أتباعه حوله، واتخذ من ميلان مركزاً لعملياته الحربية فى عام ٤٧١م، وهناك بعد أن اطمأن إلى قوته وموقفه، أعلن رفضه الاعتراف بالأمبراطور الشرقى وصنيعته الأمبراطور الغربى أنثميوس، وبادر بتعيين الارستقراطى أوليبريوس Olybrius ليجلس على عرش الأمبراطورية فى الغرب(٢). وكان أوليبريوس يعيش فى القسطنطينية، بيد أن الأمبراطور الشرقى شك فى تصرفاته وإخلاصه، فعقد العزم على التخلص منه، ومن ثم أرسله إلى روما فى ربيع سنة ٤٧٢م بحجة تسوية الموقف بين أنثميوس وريكيمر، فى الوقت الذى كتب فيه رسالة مختومة إلى أنثميوس يطلب منه قتله ولكن تلك الرسالة وقعت فى أيدى ريكيمر، فتخبر أوليبريوس بأمرها، الأمر الذى جعل الاثنين يتفقان على العمل يداً واحدة ضد الأمبراطور الشرقى، وانطلاقاً من هذا المبدأ رفع أوليبريوس إلى عرش

---

(١) Brooks (E.W.), The Emperor Zenon and the Isaurians., (London, 1893), pp. 212 - 216.; Bréhier, op. cit., p. 10.; Hodgkin, Italy and her Invaders., Vol. III., p. 36.; Barker, op. cit., pp. 425 - 426.

(٢) Downey, op. cit., p. 83.;

إبراهيم طرخان، نهاية الأمبراطورية الرومانية، ص ٨٤.

الأمبراطورية الغربية[١]. وعلى أى حال، استطاع ريكيمر أن يدخل روما ظافراً، ويقضى على أنثميوس؛ غير أن ريكيمر لم يلبث أن مات فى نهاية أغسطس سنة ٤٧٢م بسبب نزيف أصابه، وتبعه بشهرين فقط صنيعته أوليبريوس الذى لم تزد مدة حكمه عن ثلاثة شهور.

بعد أن مات ريكيمر صانع الأباطرة خلفه ابن أخته الأمير البرجندى جندوباد، الذى رفع جليكريوس Glycerius إلى عرش الأمبراطورية الغربية فى راڤنا، ولكن القسطنطينية لم تعترف به امبراطوراً، لأنه لم يكن متعاطفاً مع سياستها، واختارت بدلاً منه يوليوس نيبوس (٤٧٣ - ٤٧٥م) Julius Nepos حاكم دلماشيا ليرتقى عرش الغرب. وفعلاً أبحر إلى إيطاليا فى ربيع عام ٤٧٤م، واستطاع إزاحة جليكريوس دون صعوبة، غير أن أورستيز البانونى Orestes قائد الجيش الجديد لم يلبث أن قام بثورة ضد نيبوس أطاحت به، وأرغمه على الهرب في ٢٨ أغسطس سنة ٤٧٥م، والعودة إلى ولايته دلماشيا[٢]. ولسنا هنا فى مجال الإفاضة فى أحداث تلك الفترة المظلمة من تاريخ الأمبراطورية الغربية، فكل ما يهمنا من أمرها شخصية أورستيز. الواقع أنه كان رومانيا، لم تجر فى عروقه الدماء الجرمانية، دخل فى خدمة الزعيم الهونى أتيلا عندما كان صغيراً، حتى صار سكرتيره، وفى عام ٤٨٨ أرسله أتيلا على رأس سفارة إلى الأمبراطور الشرقى ثيودوسيوس الثانى، ثم عاد إلى إيطاليا، واستطاع بفضل شجاعته ومهارته التدرج فى مناصب الجيش، حتى وصل إلى منصب القائد العام للجيش الرومانى، وبذلك صار صاحب السلطة الفعلية فى الأمبراطورية الغربية. وكان بإمكان أورستيز أن يصل إلى عرش الغرب، بعد أن فر نيبوس إلى دلماشيا، ولكنه آثر أن يبتعد عن ذلك المنصب، كى يتجنب ما يجره عليه من متاعب. وفضل أن يهدى التاج الأمبراطورى لابنه روموالوس أوغسطولوس Romulus Augustulus فى ٢٩ أكتوبر سنة ٤٧٥م، وهو صبى لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره آنذاك،

---

(١) Hadas, op. cit., p. 243.; Barker, op. cit., pp. 428 - 429.

(٢) Lot, Les Invasions Germaniques., p. 116; Bradley, The Goths, p. 126.

لا يمتلك من المواهب سوى جمال الطلعة[١]، وإن ظل أورستيز فى حقيقة الأمر هو الحاكم الفعلى، والمهيمن على مقاليد الأمبراطورية من وراء ستار.

والواقع أن الأمبراطورية الغربية لم تعد لديها القدرة آنذاك على الاحتفاظ بكيانها وسط العواصف الشديدة التى هبت عليها من كل جانب. ففى عام ٤٧٦م أخذت جموع الجرمان والبرابرة تتدفق على إيطاليا من الشمال الشرقى بحثاً عن الحظ والمغامرة، وامتلأت صفوف الجيش بالمعاهدين منهم، مثل قبائل الهيرولى، والقوط، والروچيين Rugii، والآلان، والأسكيريين، والتورسيلنج Turcilingi وغيرهم[٢]. غير أن أولئك المعاهدين سرعان ما استفحل خطرهم فى إيطاليا، وصاروا مصدراً للفوضى والقلاقل، ودفعهم الجشع إلى التمرد وطلب المزيد، فتطلعوا إلى البحث عن مواطن يلتمسون منها سبل العيش والإقامة، أسوة بما فعلته القبائل الجرمانية الأخرى التى أقامت كيانها السياسى فى صورة ممالك متمتعة بالاستقلال[٣]. وبدأت المتاعب تأتى من قبل أولئك الجرمان عندما طالب زعماؤهم فى الجيش برفع رواتبهم وزيادة مخصصاتهم، ولما كانت خزانة الدولة خاوية، رأوا أن يطلبوا والحالة هذه ثلث أراضى إيطاليا من أورستيز. وهنا وقف أورستيز موقفاً يدعو إلى الإعجاب، ذلك أنه لم ينس أصله الرومانى فى ذلك الوقت العصيب، ورأى أن واجبه يقتضى الحفاظ على حياة السكان الآمنين من الرومان، والعمل على إبعاد شبح الجوع والفناء عن إيطاليا، ولهذا قابل مطالب زعماء الفرق الجرمانية بالرفض[٤]. وفى أثناء ذلك استغل أودواكر الأسكيرى Odoaker الموقف، ودعا زملاءه زعماء الفرق الجرمانية للانضواء تحت لوائه، كى يحقق لهم ما يصبون إليه من آمال. وكان أن التفوا حوله، وبادروا بإعلانه ملكاً عليهم فى ٢٣ أغسطس سنة ٤٧٦م. ولم يهدأ له بال إلا بقتل أورستيز فى إحدى

---

(١) Lot, op. cit., p. 116.; Bradley, op. cit., pp. 126 - 127.; Barker, op. cit., pp. 429 - 430.

(٢) Taylor, op. cit., pp. 113 - 114.; Barker, op. cit., p. 430.

(٣) Pirenne, op. cit., p. 30; Hadas, op. cit., p. 117.; Barker, op. cit., p. 430.

(٤) Bradley, The Goths., pp. 127 - 128.

الفتن التى شبت فى روما فى ٢٨ أغسطس من نفس العام. أما الأمبراطور الصغير رومولوس أوغسطولوس، فقد عفا عنه أودواكر، ثم قام بعزله، وسمح له بالإقامة فى قصر فى كمبانيا، وقرر له معاشاً سنوياً طيلة حياته[١]. ومن المصادفات العجيبة أن مؤسس روما العظيمة كان اسمه رومولوس، الذى اتفق فى الاسم فقط مع آخر امبراطور جلس على عرش الأمبراطورية الغربية.

الجدير بالذكر أن أودواكر لم يستبح لنفسه اغتصاب لقب الأمبراطور بعد أن عزل آخر أباطرتها، لأن ذلك الأمر كان فوق طاقة زعيم متبربر، ليس له الحق فى حمل ذلك اللقب[٢]، لاسيما بعد أن فقد اللقب جاذبيته وبريقه منذ حوالى سبعين عاماً[٣]. ولذلك اكتفى ببعث شارات الأمبراطورية إلى زينون (٤٧٤ – ٤٩١) الأمبراطور الشرقى المعاصر، رمزاً لولائه، وحثاً له على الاعتراف به حاكماً نيابة عنه فى إيطاليا، واكتفى بأن أطلق على نفسه ملك القرمان فى إيطاليا[٤].

وهكذا جنحت شمس الأمبراطورية الرومانية فى الغرب إلى المغيب، وولى مجدها، وضاعت عظمتها. وقدر لروما ذات الماضى العريق أن تشهد انحسار الأضواء عن تلك الأمبراطورية، وأسدل الستار عليها، بعد سبعة قرون من تاريخها الجمهورى، وخمسة قرون من تاريخها الأمبراطورى، وبعد أن عاصرت على مدار السنين أباطرة، منهم من كان شجاعاً قوياً حافظ على مجدها وعظمتها، ومنهم من كان ظلا باهتاً، لم يكن اسمه إلا نقشاً على الرمال أذرته الرياح.

وعلى أى حال، إذا حاولنا أن نلقى نظرة على خريطة أوربا السياسية عام ٤٧٦م من البحر الأدرياتى شرقاً إلى خليج بسكاى غرباً، ومن مصب نهر الراين

---

(١) Bradley, The Goths., pp. 128 - 129.; Lot, op. cit., pp. 117 - 118; Taylor, op. cit., p. 114.

(٢) Cantor, Medieval Hist., p. 120.

(٣) Deanesley, A Hist. of Early Medieval Europe., p. 8.

(٤) Hadas, op. cit., pp. 244 - 245.

شمالاً إلى طرابلس جنوباً، لشاهدنا خليطاً من الممالك التى تأسست فى المناطق الآتية :

١ – دولة القوط الغربيين الذين سيطروا على أسبانيا وجنوب الغال، وبذلك امتدت مملكتهم من اللوار حتى جبل طارق، وعاصمتهم تولوز.

٢ – مملكة الوندال فى أفريقية وجزر البحر المتوسط الغربية، وعاصمتها قرطاجنة.

٣ – مملكة الفرنجة فى شمال الغال، حول وديان الموز والموزل والراين الأعلى

٤ – مملكة البرجنديين فى وديان الرون والساون حتى أقاصى أعاليهما، وعاصمتها ليون.

٥ – مملكة أودواكر فى إيطاليا.

٦ – مملكة السويفى فى البرتغال وشمال أسبانيا(١).

٧ – مملكة الروجيين فى الأقاليم الواقعة الآن فى باڤاريا والنمسا، وقد ظلت قائمة حتى قضى أودواكر عليها (٤٨٧ – ٤٨٨م)(٢).

أما المناطق التى ظلت فى أيدى النفوذ الرومانى من الناحية الاسمية، فكانت :

١ – مملكة سياجروس التى استقل بها القائد الرومانى فى شمال الغال وعاصمتها سواسون، وقد ظل نفوذه قائماً حتى استطاع كلوفيس ملك الفرنجة سنة ٤٨٦م القضاء عليها.

٢ – بريتانى : باستيلاء السكسون على الجنوب الشرقى من الجزيرة البريطانية، هاجر الكلتيون أهل الأقاليم الجنوبية من تلك الجزيرة، فراراً من السكسون

---

(١) Pirenne, op. cit., p. 31; Deanesly, op. cit., p. 2.

(٢) على الغمراوى، ملحمة البطولة الجرمانية، ص ٤٢ – ٤٣.

إلى جهات أرموريكا بأقصى الشمال الغربى من فرنسا الحالية، التى أطلق عليها منذئذ بريتانى تحريفاً من اسم بريطانيا القديم(١).

٣ – ولاية بريطانيا : لم تتخل عنها روما رسمياً، ولكنها تركت البريطانيين وشأنهم للدفاع عن أنفسهم، بما استطاعوا من وسائل المقاومة ضد الإنجليز والسكسون، خاصة بعد أن سحبت الفرق الرومانية من الجزيرة البريطانية للذود عن كيان الأمبراطورية نفسها(٢).

٤ – ولاية دلماشيا المطلة على البحر الأدرياتى.

---

(١) فشر، تاريخ أوربا العصور الوسطى، القسم الأول، ص ٣١.

(٢) رواس، التاريخ الإنجليزى، ص ١٧ – ١٩؛ نظير سعداوى : تاريخ إنجلترا، ص ٣١ – ٣٢.

بعض الآراء حول سقوط الأمبراطورية الرومانية في الغرب الأوربى

من الثابت أن حدود الأمبراطورية الرومانية قد تعرضت لغزوات الجرمان منذ عهد ماريوس (ت ٨٦ ق.م)، واشتدت تلك الغزوات فى القرنين الثالث والرابع الميلاديين، متخذة طابعاً عنيفاً، فما من ولاية إلا واجهت الخراب، حتى إيطاليا نفسها؛ ولكن تلك الغزوات رغم عنفها وضخامة أعداد الغزاة التى قاموا بها، كانت الجيوش الرومانية قادرة على مواجهتها فى حينها، ونقل المعارك إلى أراضى الجرمان فيما وراء الحدود أحياناً. أضف إلى هذا أن ما خلفته تلك الغزوات من تدمير وخراب فى مناطق عديدة من الأمبراطورية، لم يؤثرا على مسيرتها، إذ سرعان ما كانت تقف على قدميها، مواصلة حياتها المألوفة(١). غير أن تلك الغزوات ابتداء من القرن الخامس الميلادى أخذت شكلاً جديداً اختلف فى طابعه عن غزوات القرنين الثالث والرابع، فقد قامت بها جموع ضخمة من الجرمان والبرابرة مثل الفرنجة والألمانى والسكسون والقوط وغيرهم. وقد أدت تلك الغزوات إلى تدمير ولايات ومدن طالما نعمت بالاستقرار والحضارة فى ظل السلام الرومانى، الأمر الذى يجعل المرء يتساءل : هل أتت النهاية الأليمة حقاً؟ نهاية الأمجاد الحافلة ومختلف الجوانب الحضارية التى أعطتها الأمبراطورية للعالم.

ورغم أن الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى قد سقطت أواخر القرن الخامس الميلادى، ولم يعد لوجودها السياسى القديم بقاء، إلا أن فكرة تلك الأمبراطورية ظلت راسخة فى الأذهان طوال العصور الوسطى. وليس أدل علي ذلك من أن الأباطرة الشرقيين اعتبروا أنفسهم امتداداً للأباطرة الرومان السابقين، وما حدث فى رأيهم سنة ٤٧٦م أنه لم يعد ثمة سوى امبراطور واحد للأمبراطورية يحكم فى الجزء الشرقى منها. هذا ولم تعدم الأمبراطورية الغربية

(١) Dill, Roman Society in the Last Century., pp. 285 - 290.

بعد زوالها بعض الأباطرة العظام، الذين وضعوا نصب أعينهم ضرورة إحيائها، فحاولوا، ولكن محاولاتهم باءت بالفشل. ومن أولئك الأباطرة جستنيان فى القرن السادس الميلادى، الذى بذل قصارى جهده بغية إعادة الأمبراطورية إلى سابق العهد بها، قوية موحدة، ولكن الظروف كانت أقوى منه. كذلك عندما منح شارلمان اللقب الأمبراطورى فى ليلة عيد الميلاد سنة ٨٠٠م فى كنيسة القديس بطرس في روما، لم تستطع أمبراطوريته أن تلعب نفس الدور الذى لعبته الأمبراطورية الرومانية القديمة، فهى فضلاً عن سيطرتها على الكنيسة الغربية، لم يتعهد نفوذها إقليم الغال، وأصابها التفكك عقب وفاته سنة ٨١٤م. ومرة أخرى ظهرت فكرة إحياء الأمبراطورية مرة أخرى فى ألمانيا، على يد أوتو الأول أو العظيم (٩٣٦ – ٩٧٣) حفيد شارلمان، غير أن تلك الأمبراطورية التى عرفت باسم الأمبراطورية الرومانية المقدسة، لم تستطع بسط سيادتها إلا على ألمانيا وإيطاليا فحسب. وهكذا ظلت فكرة الأمبراطورية ماثلة فى أذهان الأوربيين طوال فترة العصور الوسطى، رغم فشل المحاولات التى قامت من أجل إحيائها.

ويعترضنا فى هذا المقام سؤال : ما الأسباب التى أدت إلى تدهور وزوال الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى؟ من الواضح أن الفترة الواقعة بين وفاة الأمبراطور ماركوس أوريليوس سنة ١٨٠م وأواخر القرن الخامس الميلادى، شاهدت الأمبراطورية خلالها انحطاطاً فى جميع أوجه النشاط السياسى والعسكرى والاقتصادى والاجتماعى والثقافى. ورغم أن مظاهر الضعف والذبول قد تغلغلت فى الجزء الغربى من الأمبراطورية بصورة أشد من الجزء الشرقى، إلا أن الانحطاط – فى الواقع – لم يقتصر على تلك الأمبراطورية، بل شمل فى طياته حضارة العالم القديم كلها، الأمر الذى أدى إلى انتقالنا إلى عصر جديد ذى سمات جديدة، عرف بالعصر الوسيط(١).

وموضوع انتقال العالم من العصور القديمة إلى العصور الوسطى ظل – كما هو معروف – مثار جدل وبحث طويل بين المؤرخين. ويرى مؤرخو القرن

(١) Lyon & Herbert and Hamerow, A Hist. of the Western World., Vol. I., p. 96.

التاسع عشر أن نهاية العالم القديم ترجع إلى الكوارث الفادحة التى توالت علي الأمبراطورية الغربية خلال القرنين الرابع والخامس، وفى اعتقادهم أيضاً أن تأسيس الممالك الجرمانية فى الغرب الأوربى، نقل العالم الأوربى إلى فترة طويلة مظلمة تعرف بالعصور الوسطى، والحقيقة أن أولئك المؤرخين قد استمدوا وجهة نظرهم هذه من باحثى عصر النهضة، التى افتتن بها مؤرخو القرن الثامن عشر بدورهم، خاصة ڤولتير (١٦٩٤ – ١٧٧٨م) وجيبون (١٧٣٧ – ١٧٩٤م). أما مؤرخو القرن العشرين، ففى رأيهم أن الغزوات الجرمانية التى اجتاحت الغرب الأوربى ليست وحدها المسئولة عن نهاية العالم القديم، فالجرمان لم يكن باستطاعتهم غزو الأمبراطورية الغربية، ما لم يكن هناك فساد داخلى ساهم فى إضعافها، قبل أن تحل غزوات الجرمان(١). وعلى أية حال، سنعرض لبعض الآراء التى تناولت تدهور وسقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى.

يرى المؤرخ الانجليزى إدوارد جيبون Edward Gibbon فى كتابه «اضمحلال وسقوط الأمبراطورية الرومانية» أن تدهور روما واضمحلالها كان نتيجة طبيعية وحتمية، فالرفاهية التى عاش الرومان فى ظلها أثمرت مبدأ الاضمحلال، ولقد تضاعفت عوامل الدمار بامتداد الغزو وتوسع الامبر طورية، حتى إذا أزاح الزمن ماكان هناك من دعائم واهية مصطنعة قامت عليها الأمبراطورية، انهار الكيان الضخم تحت وطأة ثقله هو نفسه. ويرى جيبون أيضاً أن الديانة المسيحية كانت من أهم سقوط الأمبراطورية الرومانية، لأنها – على حد قوله – قد قضت على العبادات القديمة التى كانت الدعامة الخلقية لرومان، كما أنها ناصبت الثقافة القديمة العداء، فحاربت العلم والفلسفة والأدب والفن، وأتت بالتصوف الشرقى الواهن بدلاً من الفلسفة الرواقية التى كانت مستغلة بواقعيتها فى الحياة الرومانية، وحولت أفكار الرومان عن واجباتهم، وأغرتهم بالجرى وراء النجاة الفردية عن طريق الزهد والصلاة، وشجعت أتباعها على

---

(١) Ibid.,

(٢) جـ ٢، ص ٣٥٢ – ٣٥٣.

الامتناع عن أداء الخدمة العسكرية، وبهذا كله كان انتصار المسيحية إيذاناً بالقضاء على روما. والواقع أن ذلك الرأى قد وصمه الكثير من المؤرخين بالضعف نذكر منهم بينز الذى أنبرى قائلاً : «يرجع ذلك الاتهام الموجه للديانة المسيحية إلى أيلم القديس أوغسطين (٣٥٤ - ٤٣٠م)، لاسيما بعد أن سقطت روما فى أيدى آلاريك ملك القوط الغربيين سنة ٤١٠م، فقد دب خلاف واسع النطاق بين المفكرين الوثنيين والمسيحيين آنذاك حول تدهور روما، وبمعنى آخر تبادل الفريقان الاتهام، اتهم الوثنيون المسيحية بأنها السبب فى زوال مجد الأمبراطورية الرومانية، واتهم المسيحيون الوثنية بأنها أشاعت الانحلال والفساد والشرور فى المجتمع الرومانى، ونتيجة لذلك صب الله جام غضبه على مخالفى الكنيسة ومضطهديها. ومن الواضح أن ذلك الاتهام قد ثبت عقمه وفساده، ومرد ذلك أن الكنيسة المسيحية أعطت الأباطرة الوازع الدينى، ومدت يدها إلى المحرومين خلال المجاعات والغزوات البربرية التى هددت الشعب الرومانى بالموت، وكان أثر المسيحية فى أخلاق الرومان أثراً طيباً، ففى الوقت الذى كانت فيه شمس الأمبراطورية الرومانية تميل إلى الغروب، كانت الكنيسة تبنى تنظيماً، قدر له أن يواصل رسالته بعد زوال تلك الأمبراطورية، حتى تبوأ ذلك التنظيم مكانة السيادة فى روما، وصار القوة الوحيدة فى أوربا»[١]. ولا يقل رد المؤرخ كولتون[٢] إقناعاً عن ردبينز، فقد ذكر قائلاً : «كانت المسيحية كسباً حقيقياً للأمبراطورية الرومانية، فالمجتمع الرومانى كان قد وصل إلى مرحلة تفشى فيها الانحلال والمساوىء، فى الوقت الذى تدهورت فيه الأصالة فى الآداب والعلوم والفنون، وعهد بأمر الدفاع عن الأمبراطورية إلى الجرمان والمتبربرين، وكانت الطبقة الوسطى، عصب الحياة فى المجتمع الرومانى، تسام الاضطهاد والقسوة عن طريق نظام ضرائبى مرهق، وفى وسط مظاهر ذلك الانحلال ظهر الدين الجديد الذى قاد الناس إلى قيم جديدة، وأخلاق سامية تخالف ما كان مألوفاً من قبل».

---

(١) Baynes, Decay of the Western Power and its causes., p. 2233.

(٢) عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة، ص ٤٦ - ٤٧.

وهناك المؤرخ ج. ليبج J. Liebig وأتباعه الذين أرجعوا تدهور الأمبراطورية إلى أسباب اقتصادية، ففى رأيهم أن الأرض الزراعية أصابها الضعف والانهاك يوماً أثر يوم، واستنفذت قدرتها على الإنتاج، ولم يعد الفلاح يستطيع الاعتماد عليها فى كسب معاشه. وقد رفض رستوفتزف ذلك الرأى، وذكر أنه قد يصدق على بعض أجزاء اليونان وإيطاليا، فالسبب الأساسى فى جدب التربة فى بعض جهات إيطاليا يرجع إلى قطع الغابات وإهمال صرف المياه، والقول بانهاك التربة فى إيطاليا فى القرنين الثانى والثالث تعميم غير مقبول(١). ويضيف بينز ذاكراً أن هذا الرأى لا ينطبق على جميع ولايات الأمبراطورية، فكل قرى مصر قد أصابها الخراب والبوار رغم خصوبة أراضيها الزراعية ووفرة وسائل الرى بها، على حين أن الزراعة فى إقليم الغال قد ازدهرت خلال القرنين الرابع والخامس، بفضل العناية الدائبة التى أبداها أصحاب الملكيات الزراعية من الطبقة الأرستقراطية(٢).

أما المؤرخ الانجليزى أرنولد توينبى(٣) Arnold Toynbee فقد اعتقد فى كتابه «مختصر دراسة التاريخ» أن الأمبراطورية الرومانية قد سبقها عصر اضطرابات يعود امتداده إلى الوراء، إلى حرب هانيبال (٢١٨ – ٢٠٢ ق.م) على الأقل، وهو عصر أخفقت فيه الحضارة الإغريقية وتوقف المجتمع الهلينى خلاله عن الابتداع، وبدأ تدهوره الفعلى أمراً واضحاً، وإن كان قد أمكن وقفه حقبة من الزمن بفضل قيام الأمبراطورية الرومانية. ولكن تلك الامبراطورية – كما يستطرد توينبى – سقطت لأنها عجزت عن منافسة الكنيسة، لأن الكنيسة تولت الزعامة، وكسبت ولاء الناس لها، بينما فشلت الأمبراطورية فى الفوز بهذا أو ذاك.

---

(١) Rostovizeff, Social and Economic Hist. of the Roman Empire., Vol. I., pp. 374 - 377.

والترجمة العربية : رستوفتزف، تاريخ الأمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى، جـ ١، ص ٤٤٤ – ٤٤٥.

(٢) Baynes, op. cit., pp. 2232 - 2233.

(٣) مختصر دراسة التاريخ، جـ ١، ص ١٨ – ٢٥.

ويرى المؤرخ الروسى ميخائيل رستوفتزف[١] M. Rostovtzeff فى كتابه «تاريخ الأمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى» أن لإنحلال الأمبراطورية الرومانية وسقوطها وجهين : أولهما سياسى واجتماعى واقتصادى، وثانيهما ثقافى. فمن الناحية السياسية اصطبغت تلك الأمبراطورية من الداخل – بالتدريج – بصبغة همجية، وخاصة فى الغرب، وقد وصل الجرمان فى القرنين الثالث والرابع إلى مناصب عالية فى الحكومة والجيش، إما عن طريق التغلغل السلمى، أو عن طريق الغزو. ومن وجهة النظر الاجتماعية والاقتصادية يرى رستوفتزف أن العالم القديم قد عاد تدريجياً إلى أشكال بدائية من الحياة الاقتصادية، فالمدن التى كانت مزدهرة وساهمت فى نمو تلك الحياة، انحطت تدريجياً، واختفى أكثرها من على وجه الأرض اختفاء يكاد يكون تاماً. وقد سار النظام الاجتماعى فى الأمبراطورية فى نفس الطريق المؤدى إلى الانحلال. أما الظاهرة الأساسية من وجهة النظر الثقافية، فهى انحلال حضارة المدن فى العالم اليونانى الرومانى. فالمدن اليونانية شهدت انتصارات عظيمة فى ميادين العلم والأدب والفن، بدأ الانحلال يدب فيها منذ القرن الثانى قبل الميلاد؛ ثم أعقبت ذلك الانحلال نهضة مؤقتة تحققت فى مدن الأمبراطورية الرومانية، ولكن تلك النهضة توقفت وقوفاً يكاد يكون تاماً فى القرن الثانى بعد الميلاد، وبعد فترة من الركود، دب مرة أخرى انحلال سريع مطرد، ولم تعد تلك المدن تصبغ بصبغة رومانية، فالطبقات الدنيا من السكان أخذت تطغى على سكان المدن أو الطبقات العليا. وهناك وجه آخر لتلك الظاهرة، هو الاختلاف الفكرى بين عقلية الطبقات السفلى والطبقات العليا، والذى حدث أن الطبقات السفلى أعرضت عن الثقافة الأصيلة ووقفت منها موقفاً عدائياً، واستطاعت فى النهاية أن تقضى على مكانتها. ويخرج رستوفتزف من هذا كله إلى أن الطابع البارز فى انهيار الحضارة الرومانية، هو احتواء الطبقات السفلى للطبقات العليا فى جميع المجالات السياسية والاجتماعية

---

(١) Rostovtzeff, op. cit., Vol. I., pp. 532 - 533.;
والترجمة العربية : رستوفتزف، المرجع السابق، جـ ١، ص ٦٣٨ – ٦٤١.

والاقتصادية والثقافية والدينية في القرن الثالث الميلادى، وأن تسدد ضربة قاتلة للحضارة الرومانية فى المدن، وفى النهاية طغى طوفان من العناصر البربرية الآتية من الخارج، عن طريق التغلغل السلمى أو الغزو، فأغرق تلك الحضارة، ولم تستطع تلك الحضارة وهى تغالب سكرات الموت أن تستقطب ولو جانباً صغيراً من هذه العناصر.

أما المؤرخ نورمان بينز[١] Norman H. Baynes، فقد درس مختلف النظريات التى جاءت بها شتى المدارس التاريخية، حول انهيار وسقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى، فى مقالته «اضمحلال النفوذ الغربى وأسبابه»، وبعد أن قام بالرد عليها، اختتم مقالته فى هذا الموضوع موضحاً رأيه الخاص بقوله : «لقد اعتمد الأباطرة على الجنود الجرمان فى الدفاع عن الأمبراطورية، وهو إجراء محكوم عليه بالفشل، ذلك أن الأمبراطورية من أجل الحفاظ على مصالحها حرصت على خدمات حلفائها من الجرمان، الأمر الذى استلزم دفع مبالغ طائلة لهم، فى وقت كانت تعانى فيه خزانة الدولة الإفلاس الشديد، حتى أنها لم تستطع توفير الموارد الكافية للحفاظ على الأسطول والجيش. إذاً هناك حقيقة أساسية تكمن فى أن حكومة الغرب الأوربى لم تستطع أن تفعل أكثر مما فعلت فى أيامها الأخيرة، لأنه لم يكن لديها ما تولجه به متاعبها. ولذلك خرجت بريطانيا من أيدى الأمبراطورية، ووقعت أغنى أراضى فرنسا فى أيدى القوط، وسقطت أفريقية فريسة فى أيدى الوندال، الأمر الذى ترتب عليه أن فقدت روما سيادتها على البحر المتوسط. لقد تغلغل الجرمان فى أراضى الأمبراطورية، وحاربوا إلى جانبها، فى الوقت الذى كانت فيه أشد الحاجة لمواجهتهم. وهنا نلاحظ أن الارستقراطية الرومانية، رغم أنها كانت على درجة عظيمة من الثراء، لم تساهم فى المحافظة على كيان الأمبراطورية، بإنقاذها من وهدة الإفلاس التى تردت فيها».

(١) Decay of the Western Power and its causes., pp. 2233 - 2234.

ويرى المؤرخ الفرنسى فرديناند لوت[١] Ferdinand Lot فى كتابه «نهاية العالم القديم وبداية العصور الوسطى»، أن الجرمان لم يحطموا الامبراطورية الرومانية فى الغرب، ولكنها ماتت بسبب ما كانت تعانيه من أمراض فى داخلها، وقد حاولت الأمبراطورية خلال القرنين الأخيرين من حياتها أن تقاوم متاعبها الاقتصادية والاجتماعية والعنصرية التى كانت السبب فى انحلالها، ولكن محاولتها باءت بالفشل، بسبب ما تبنته من سياسة تقليدية جامدة (محافظة) غير مرنة؛ ولم يكن باستطاعة الأمبراطورية أن تهرب من قدرها المحتوم، فالوقت الذى ينبغى فيه أن تزول قد جاء. والمشاهد أن مقاومة الأمبراطورية من أجل البقاء أخذت تنهار سريعاً منذ نهاية القرن الرابع، حتى إذا أقبل القرن الخامس لم تعد لها القدرة على إنقاذ نفسها من الانهيار، وانفلت آخر رمق من القوة من بين يديها الواهنتين.

ويرى المؤرخ كاتز[٢] Katz فى كتابه «أفول روما ونشأة أوربا العصور الوسطى» أن انهيار روما لم يأت فجأة أو نتيجة كارثة عنيفة حادة، وإنما أتى تدريجياً خلال أزمنة امتدت قروناً عديدة. وأشار كاتز إلى أن الباحثين تناولوا مشكلة اضمحلال النفوذ الرومانى فى الغرب الأوربى، ووضعوا لها حلولاً تجنح إلى المبالغة، فأحياناً يقع اختيارهم على أحد عوامل ذلك الاضمحلال، ويجرى تركيز الضوء عليه باعتباره السبب الوحيد، مع التقليل من شأن العوامل المشتركة الأخرى، وعلى سبيل المثال لا الحصر غزوات البرابرة أو إجهاد التربة الزراعية. وفى رأيه أن سبب الاضمحلال لا يرجع إلى عامل واحد، بل إلى عدة عوامل اقتصادية واجتماعية وثقافية متفاعلة ومتداخلة، وفى اعتقاده أيضاً أنه من المستحيل – من الناحية العملية – أن نعطى أولوية لأى عامل من عوامل الانهيار، طالما أن كل عامل يتفاعل مع الآخر، أو يكون سبباً له.

---

(١) The End of the Ancient World., p. 236.

(٢) The Decline of Rome., pp. 72 - 74.

ويذكر المؤرخ الفرنسى أندريه بيجانيول[١] André Peganiol فى كتابه «الأمبراطورية المسيحية» أن روما قد أقدمت على اتخاذ خطوة جريئة فى القرن الرابع الميلادى، عندما عهدت بمهمة الدفاع عن حدودها إلى قبائل بربرية سبق أن احتضنتها وتحالفت معها. فسمحت للفرنجة بالإقامة فى توكساندريا (شمال بلجيكا الحالية) نظير الدفاع عن الراين، وعهدت بحراسة جبهة الدانوب لجماعات الوندال والقوط الشرقيين الذين أقاموا فى بانونيا، والقوط الغربيين الذين استقروا فى مؤيسيا. وعلاوة على ذلك، أدخلت روما العديد من الجرمان فى الجيش الرومانى، وجعلت أحسن الفرق العسكرية مؤلفة منهم، فى الوقت الذى شغل فيه ضباط برابرة أعلى المناصب فى الجيش، فوصل البعض منهم إلى رتبة قائد القوات الرومانية. وقد دفع ذلك كله المؤلف الكلاسيكى سنيسيوس (حوالى ٣٧٠ – ٤١٣) Synesius إلى توجيه اللوم إلى الأمبراطور أركاديوس قائلاً : «لقد أصبحنا تحت حماية جيوش مؤلفة من رجال، يرجعون فى أصولهم إلى نفس سلالة عبيدنا». ثم أشار عليه أن حل تلك القضية سوف لا يتحقق إلا بالأخذ بنظام الخدمة العسكرية الاجبارية (التجنيد الجبرى). ولما رفضت روما صبغ جيشها بصبغة رومانية تامة، أدى ذلك فى النهاية إلى هلاكها. وقد استبعد بيجانيول فكرة انهيار الأمبراطورية فى القرن الرابع، ورغم أن غزوات البرابرة قد نهبت روما وشوهت صورتها فى القرن الثالث، إلا أنها كانت تنهض من جديد، واستطاعت فى نفس الوقت أن تحدث عملية تحول داخلى على حساب الأزمة الخطيرة، وأخذت تتكون رؤية جديدة للسلطة الأمبراطورية، اعتنقتها بيزنطة فيما بعد. وليس صحيحاً أن كل الآلام التى قاستها الأمبراطورية، مثل الضرائب المرهقة، واهتزاز الثروات، وتحلل الطبقات الاجتماعية، كانت بسبب عملية التحول، وإنما كانت نتيجة الحروب المتواصلة التى أشعلتها جماعات البرابرة عند حدود الأمبراطورية. وقد استنكر بيجانيول الادعاء القائل أن «كل شىء كان ميتاً» عند

(١) L'Empire Chrétien., 325 - 393., pp. 421 - 422.

وصول البرابرة إلى الأمبراطورية، واستبعد أيضاً أنها تلقت ضربة قاصمة من الجرمان أتت عليها. فالواقع أنها كانت جسداً مرهقاً، مثخنا بالجراح، غلبها «نعاس طويل» لم يقض عليها قضاء تاما، وإنما تم اغتيالها غدراً على أيدى أعدائها الجرمان.

ويطلعنا المؤرخ ليسنر[١] Laistner فى كتابه «فكر وآداب الغرب الأوربى من ٥٠٠ إلى ٩٠٠» على رأيه موضحاً أن غزوات الجرمان لم تكن الطوفان العنيف المفاجيء الذى اجتاح الأمبراطور الغربية وأودى بها، ذلك أن اضمحلال تلك الأمبراطورية وسقوطها كانا عملية تدريجية بطيئة استمرت قرنين من الزمان. وكان من الممكن أن تتخذ تلك العملية مسيرة أبطأ، لولا غزوات قبائل الهون المتبربرة التى أفزعت المجتمع الرومانى والجرمان على حد سواء. ومن الواضح أنه حدثت تغيرات شملت الرومان والجرمان معاً خلال هذين القرنين، بدليل أن كل الغزاة على وجه التقريب صاروا على دراية بالحضارة الرومانية بصورة متفاوتة. وينبغى ألا ننساق وراء الكتاب اللاتين المعاصرين وهم بصدد الحديث عن اضمحلال وسقوط الأمبراطورية فى الغرب، فقد أشاروا إلى أن البرابرة ألحقوا الدمار الشامل بالمدن، على حين أثبتت الكشوف الأثرية أنهم كانوا مبالغين إلى حد بعيد. صحيح أن كثيراً من الأماكن قد قاست بسبب غزوات البرابرة، ولكنها سرعان ما كانت تستعيد مظاهر ازدهارها القديمة، أما الأماكن التى قدر لها أن تتحول إلى حطام فى أعقاب غزوة جرمانية، فإنها في الواقع لم تهجر تماماً. ويصل ليسنر فى ختام حديثه إلى أنه مثلما اختلطت دماء الأمبراطورية الرومانية بالدماء الجرمانية قبل سقوطها بأمد طويل، فكذلك صارت الشعوب الجرمانية خلال زحفها على الامبراطورية الرومانية.

ويصور هودجكين[٢] Thomas Hodgkin فى كتابه «إيطاليا وغزاتها» سقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب قائلاً : «لقد سقطت الأمبراطورية

(١) Thought and Letters in Western Europe. A. D. 500 To 900., 24.

(٢) Italy and her Invaders., Vol. II., pp. 532 - 533.

الرومانية فى الغرب الأوربى، لأنها استنفذت الغرض التى قامت من أجله، وحان الوقت الذى يجب فيه أن تزول بعد أن شاخت وهرمت. كان قيام تلك الأمبراطورية وامتداد نفوذها إلى كل بلاد العالم المتحضرة نعمة جليلة للبشرية، وعلى قدر تلك النعمة كان حكمها الطويل نقمة لعينة، رغم سلسلة الأباطرة المصلحين الذين اعتلوا عرشها مثل تراجان (٩٨ - ١١٧) وماركوس أوريليوس (١٦١ - ١٨٠). لقد منحت تلك الأمبراطورية جميع الشعوب المطلة على البحر المتوسط السلام والنظام وسيادة القانون، كما أنها مهدت لانتشار المسيحية. ولكن بعد أن طال عمرها، وابتعدت عن الطريق المستقيم، سلبت تلك الشعوب حريتها، وقضت على فضائل الرجل الحر بعد أن طال وقوعه تحت نير السلطة الغاشمة المستبدة. وعندئذ حانت الفرصة للشعوب الجرمانية لتجدد شباب العالم الأوربى، وتأتى بالصخب النشيط لبلاد ذلك العالم الذى ران عليه السكون والانقباض الموحش، وامتلأ بالعبيد والطغاة المستبدين. وفى إيجاز، لقد قام بناء الأمبراطورية وسقط فى النهاية، وهذه إرادة الله، ولا راد لقضائه وحكمه».

وتناول المؤرخ سيدنى بينتر[١] Sidney Painter فى كتابه «تاريخ العصور الوسطى» تدهور وسقوط الأمبراطورية الرومانية فى سطور قليلة قائلاً : «إن ازدهار الأمبراطورية المادى والحضارى كان قد بدأ السير فى طريق الأفول، قبل أن يقتحم الجرمان والمتبربرون حدود الأمبراطورية فى أعداد هائلة، وكل مافعله أولئك الجرمان أنهم عجلوا بأمر كان قد بدأ فعلاً».

ويذكر المؤرخ كلوف[٢] Clough وآخرون فى كتابهم «تاريخ العالم الغربى» أن الغزوات البربرية كان لها تأثير فعال علي خيال المؤرخين المعاصرين لأحداثها، لدرجة جعلتهم يقررون أن البرابرة كانوا سبب القضاء على الأمبراطورية الرومانية. ولكن الباحثين المحدثين رفضوا أى تفسير بذاته. ذلك أن أزمات الأمبراطورية الرومانية المتأخرة ترجع إلى عوامل متداخلة، داخلية وخارجية.

---

(١) A Hist. of the Middle Ages., pp. 26 - 28.

(٢) A Hist. of the Western World., p. 120.

وتكمن العوامل الداخلية فى فشل الأمبراطورية فى إيجاد نظام ثابت لوراثة العرش، وسياسة الأمبراطورية تجاه البرابرة، ونقص القوى البشرية، وهروب الموظفين المدنيين من ثقل الأعباء الملقاة على أكتافهم، وتحلل الطبقات الاجتماعية، وثقل الضرائب الملقاة على الأقاليم والولايات لمساعدة الجيوش الرومانية، كل تلك العوامل ساهمت فى حدوث الأزمات التى ألمت بالأمبراطورية، فى الوقت الذى ضاعفت فيه غزوات البرابرة من خطورة تلك العوامل.

وأخيراً، لم يكن سقوط الأمبراطورية الرومانية فى الغرب الأوربى سنة ٤٧٦م سببه غزوات الجرمان الذين سددوا إليها ضربات تلو أخرى فحسب، بل جاء أيضاً نتيجة عوامل التحلل والتفكك التى أخذت تنهش فيها من الداخل منذ القرن الثالث الميلادى. وهنا نلاحظ أن تلك العوامل كانت بطيئة، غير مباشرة، لم تظهر فجأة على السطح، ولم تفلح المحاولات المخلصة التى قام بها بعض الأباطرة الفيورين على مجد الأمبراطورية ووحدتها فى إيقافها. ومهما يكن الاتفاق أو الاختلاف حول أسباب سقوط تلك الأمبراطورية، فإن ذلك يعنى فى كلمات قليلة أنه من المستحيل القضاء على أية حضارة عظيمة من الخارج، ما لم تكن تلك الحضارة قد قضت على نفسها من الداخل.

المراجع

١- المراجع العربية والمترجمة :

ابراهيم العدوى: (دكتور)

١- المجتمع الأوربى فى العصور الوسطى .

(القاهرة١٩٦١)

٢- المدخل إلى أوربا العصور الوسطى .

(القاهرة ١٩٦٨)

ابراهيم طرخان : (دكتور)

١- دولة القوط الغربيين.

(القاهرة١٩٥٨)

٢- نهاية الإمبراطورة الرومانية فى الغرب(٤٧٦)،فصل من مجلة كلية الآداب-جامعة القاهرة،المجلد ٢٠، العدد الثانى،ديسمبر ١٩٥٨.

٣- تاكيتوس والشعوب الجرمانية .

(القاهرة ١٩٥٩)

اسحق عبيد تاوضروس : (دكتور) .

١- الإمبراطورية الرومانية بين الدين والبربرية.

(القاهرة١٩٧٢)

٢- من ألاريك إلى جستنيان .

(القاهرة ١٩٧٧)

أسدرستم:

الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب.

الجزء الأول (بيروت ١٩٥٥)

أومان(شارل):

الإمبراطورية البيزنطية،ترجمة د.مصطفى طه بدر.

(القاهرة ١٩٥٣)

بارو(دهـ):

الرومان. ترجمة عبد الرازق يسرى، مراجعة د. سهير القلماوى.
(القاهرة ١٩٦٢)

ترنتن (كرين) :

أفكار ورجال، قصة الفكر الغربى. ترجمة محمود محمود.
(القاهرة ١٩٦٥)

بل (هـ أيدرس) :

مصر من الاسكندر الأكبر حتى الفتح العربى . دراسة فى انتشار الحضارة الهلينية واضمحلالها. نقله إلى العربية وأضاف إليه د. عبد اللطيف أحمد على.

(القاهرة ١٩٦٨)

بينز (نورمان) :

الإمبراطورية البيزنطية. ترجمة د. حسين مؤنس، محمود يوسف زايد.
(القاهرة ١٩٥٧)

تارن (وليم وود ثورب) :

الحضارة الهللينستية. ترجمة عبد العزيز جاويد، مراجعة زكى على.
(القاهرة ١٩٦٦)

تشارلز وورث (م.ب) :

الإمبراطورية الرومانية. ترجمة رمزى عبده جرجس،مراجعة د. محمد صقرخفاجة.

(القاهرة ١٩٦١)

توينبى (أرنولد):

مختصر دراسة التاريخ . ترجمة فؤاد محمد شبل،مراجعة محمد شفيق غربال.ا لجزء الأول، الطبعة الثانية.
(القاهرة ١٩٦٦)

جيبون(ادوارد) :

اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها. الجزء الأول نقله إلي العربية محمد على أبودره، راجعه أحمد نجيب هاشم، والجزء الثانى نقله إلى العربية لويس اسكندر، راجعه أحمد نجيب هاشم.

(القاهرة ١٩٦٩)

حسن بيرنيا :

تاريخ إيران القديم من البداية حتى نهاية العهد الساسانى. ترجمة د.محمد نور الدين عبد المنعم، د. السباعى محمد السباعى، مراجعة د.يحيى الخشاب.

(القاهرة ١٩٧٩)

ددلى(دونالد.ر) :

حضارة روما.ترجمة جميل يواقيم الذهبى،فاروق فريد،راجعه د.صقر خفاجة.

(القاهرة ١٩٦٤)

دوسن (كريستوفر) :

تكوين أوربا. ترجمة ومراجعة د. محمد مصطفى زيادة،د. سعيد عبدالفتاح عاشور.

(القاهرة١٩٦٧)

ديورانت(ول) :

قصة الحضارة.الجزء الثانى من المجلد الثالث،قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية،الطبعة الثانية (١٩٦٣)،الجزء الثالث من المجلد الثالث،عصر الإيمان،الطبعة الثالثة، ترجمة محمد بدران. (القاهرة ١٩٧٣).

راوس(أ.ل) :

التاريخ الإنجليزى، نقله إلى العربية د. محمد مصطفى زيادة.

(القاهرة ١٩٤٦).

رستوفتزف (م):
تاريخ الإمبراطورية الرومانية الاجتماعى والاقتصادى. ترجمة بمراجعة زكى على، محمد سليم سالم.
الجزء الأول (القاهرة ١٩٥٧)

رنسيمان (ستيفن):
الحضارة البيزنطية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعة زكى على.
(القاهرة ١٩٦١)

سعيد عبدالفتاح عاشور: (دكتور)
أوربا العصور الوسطى. جزءان .
(القاهرة ١٩٧٥)

السيد الباز العرينى: ٣٢٣-١٠٨١م
(القاهرة ١٩٦٠)

عبد اللطيف احمد على: (دكتور) .
١-مصادر التاريخ الرومانى .
(القاهرة١٩٦٤).
٢-مصر والإمبراطورية الرومانية فى ضوء الأوراق البردية .
(القاهرة ١٩٦٥)

على الغمراوى: (دكتور).
١- موضوعات فى الثقافة الأوربية فى العصور الوسطى .
(القاهرة ١٩٧٢)
٢- ملحمة البطولة الجرمانية.
(القاهرة ١٩٧٢)
٣- دراسات فى تاريخ العصور الوسطى.
جزءان (القاهرة١٩٧٥)
٤- مدخل إلى التاريخ الأوربى الوسيط.
(القاهرة ١٩٧٧)

عمر كمال توفيق : (دكتور).
تاريخ الإمبراطورية البيزنطية.
(القاهرة ١٩٦٧)

فشر (ه .أ. ل) :
تاريخ أوربا فى العصور الوسطى. الجزء الأول،ترجمة د. محمد مصطفى زيادة،د. السيد الباز العرينى.
(القاهرة ١٩٦٩، ١٩٧٥)

كانتور (نورمان ف .) :
تاريخ العصور الوسطى، قصة حياة حضارة ونهايتها. ترجمة د. قاسم عبده قاسم،مراجعة د. على الغمراوى، الجزء الأول.
(القاهرة ١٩٧٧)

كولتون (ج.ج) :
عالم العصور الوسطى فى النظم والحضارة.ترجمة وتعليق د.جوزيف نسيم يوسف.
(الأسكندرية١٩٦٧)

محمود محمد الحويرى : (دكتور) .
اللومبارديون فى التاريخ والحضارة .
(القاهرة ١٩٨٦).

موس (ه. سانتى ل. ب) :
ميلاد العصور الوسطى. ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد، مراجعةد. السيد الباز العرينى.
(القاهرة١٩٦٧)

نظير حسان سعداوى (دكتور)
تاريخ إنجلترا وحضارتها فى العصور القديمة والوسطى.
(القاهرة ١٩٦٨)

هارتمان (ل. م) وباراكلاف (ج) :

الدولة والإمبراطورية فى العصور الوسطى. ترجمة وتعليق د. جوزيف نسيم يوسف.

(الاسكندرية ١٩٦٦)

هرنشو (ف. ج. س) :

علم التاريخ. ترجمة عبد الحميد العبادى.

(القاهرة ١٩٣٧)

يوسف كرم :

تاريخ الفلسفة اليونانية.

(القاهرة ١٩٧٠)

(٢)المراجع الأجنبية:

Alfoldi(A.):

The Invasion of Peoples from the Rhine to the Black Sea. ", in Camb. Ancient Hist., Vol.x11. (Cambridge, 1975).

Bang (Martin):

"Expansion of the Teutons. (To A.D.378)", in Camb. med. Hist., Vol.1. (Cambridge, 1975).

Barker (Ernest):

"Italy and the West , 410-476 ", in Camb. Med. Hist Vol.1. (Cambridge, 1975).

Baynes (Norman H.).

1- " The Dynasty of Valentinian and Theodosius ", in Camb.med.Hist Vol. 1. (Cambridge, 1975).

2- Decay of the Western Power and its causes,in Universal Historyof the World., Edited by J.A.Hammerton., vol. 4. (London,no date of printing)

Beatty (John Louis) & Johnson (Oliver A .):

Hertiage of Western Civilization.Fourth edition.vol. 1 .(U. S. A., 1977).

Beck (F. G. M.):

" Teutonic Conquest of Britain.", in Camb. Med. Hist Vol.1. (Cambridge, 1975).

Boak (ArthurE. R.):

A History of Rome to 565 A. D. (New York, 1930).

Borrow (R.H.) :

The Romans. (Great. Britain, 1975)..

Bradley (Henry):

The Goths. Fifth editon (London, 1887).

Bre`hier (Louis) :

The Life and Death of Byzantium.Translated by Margaret Vaugham. (Singapore, 1977).

Brooks (E. W.) :

The Emperor Zenon and the Isaurians.English Historical Review. (London, 1893) .

Bury (J.B):

AHistory of the Roman Empire from its Foundation to the death of Marcus Aurelius (27B.C.-180A.D). (london, 1930).

Cantor (Norman E.)

Medieval History. The Life and Death of a Civilization . Second ed. (U. S. A., 1969).

Cary (M.) & Scullard (H.H.) :

A History of Rome. Third ed. (London. 1975).

Cary (M.) & Wilson (John) :

A Shorter History of Rome. (London, 1963).

Chapat (Victor):

Le Monde Romain. (Paris, 1951).

Charleswoth (M.P.) :

The Roman Empire. (Great Britain, 1961).

Church (A.J.) & Brodribbe (J.) :

The Complete Works of Tacitus. (New York,1942) .

Clough (Shepard B.), Garison (Nina G.), Hicks (David L.), Brandenburg (David J.), Gay (Peter),Planze (Otto) , Payne (Stantley G.) :

A History of the Western World. (U. S. A., 1965).

Copeland (W. O. L.):

The Germanic Invaders : Their Origins and Culture., in ui-

versal History of the world. Edit by. H. A. Hammerton., Vol. 4. (No date of printing).

Deanesly (Magaret) :

A History of Early Medieval Europe. from 476 To 911. (London, 1960).

Dill (S.) :

1- Roman Society in the Last Century of Western Empire. (London, 1925).

2- Roman Society in Gaul in the Merovingian Age. (U. S. A., 1966).

Downey (Glanville) :

The Late Roman Empire. (U. S. A., 1969).

Glover (T. R.) :

The Conflict of Religions in the Early Roman Empire. Fourth edition. (London, 1910) .

Grant (Michael) :

The World of Rome. (London, 1960) .

Gregory of Tours :

The History of the Franks., translated by Dalton (O.M.) (Oxford, 1927), in Heritage of Western Civilization., ed. by Beatty & Johnson. (U. S. A., 1977) .

Gwatkin (H. M.) & Dixie (M. A.):

" Constantine and his City", in Camb. Med. Hist., Vol. 1. (Cambridge,1975) .

Hoyt (Robert S.) & Chodorow (Stanley) :

Europe in the Middle Ages. (U. S. A., 1975) .

Jones (A. H. M.) :

The Decline of the Ancient World. (London, 1975) .

Katz (Solomon) :

The Decline of Rome and the Rise of Medival Europe. (New York, 1955) .

Kent (J. P. C.) & Painter (K. S.):

Wealth of the Roman World. Gold and Silver A. D 300-700. (British Museum, 1077) .

Lindsay (T. M.) :

"The Triumph of Christianity", in Camb. Med. Hist., Vol. 1. (Cambridg, 1975)

Lot (F.) :

1- The End of the Ancient World and the Beginnings of the Middle Ages. (London, 1931) .

2- Les Invasions Germaniques. (Paris, 1931) .

Lot (F.) & Pfister (C.) and Ganshof (F. L.) :

Les Destinees de L'Empire en Occident de 395 à 768. (paris, 1940) .

Lyon (Bryce) & Herbert (H. Rowen) and Hamerow (Theodore S.):

A History of Western Word. Vol. 1, Second edition. (U. S. A., 1974) .

Manitius (M.) :

"The Teutonic Migrations, 378-421", in Camb. Med. Hist., Vol.I. (Cambridge, 1975) .

Painter (S.) :

A Histoty of the Middle Ages. 384-1500. (Lodon, 1964).

Piganiol (Andre`):

L'Empire Chrétien. 325-395. (Pairs, 1947).

Pirenne (Henri) :

A History of Europe. from the Invasions to the xv1 Century. Transtlated by Bernard Miall from French. (London, 1961).

Previté-Orton (C. w.) :

The Shorter Cambridge Mdieval History ., Vol. 1. (Cambridge, 1971).

Robinson (Cyril E.):

A History of Europe :Ancient & Medieval., (U. S. A., 1920).

.Rostovtzeff (M.):]

The Social and Economic History of the Roman Empire. 2 vol. (London, 1957).

Salmon (E. T.) :

A History of the Roman World 30 B. c. to A. D. 138. (Great Britain, 1974).

Shmidt (Luewig) :

1- " The Visigoths in Gaul, 412-507 ", in Camb. Med. His.,Vol. 1. (Cambridge, 1975).

2- " The Sueves, Alans and Vandals in Spain, 409-429. ", in Camb. Med. Hist., Vol. 1. (Cambridge, 1975).

Sellery (George C.) & Krey (A. C.) :

Medieval Foundations of Western Civiization. (U. S. A., 1929).

Simons (Gerald) :

The Birth of Europe. (Spain, 1978).

Sinnigen (william G.) & Boak (E. R.) :

A History of Rome To A. D. 565. Six edition. (U. S. A., 1977).

Stephenson (C.) :

Mediaeval History. Europe from the second to the sixteenth century, Fourth edition (U. S. A., 1962).

Tacitus :

A treatise on the Situation, Manners, and Inhabitants of Germany. The Oxford translation., (London,1854),in Heritage of Western Civilization , fourth edtion, Vol. 1., ed. by Beatty (J.l.) & Johnson (Oliver A.)

(U. S. A., 1977).

Taylor (Henry Osborn):

The Mediaeval Mind. 2 Vols. (London, 1936).

Thompson (J. W.):

History of the Middle Ages. 300-1500. (London, 1931).

Universal History of the World., Edited by Hammerton (J. A.), Vol. 4. (London, no date of printing).

Vasiliev (A. A.):

History of the Byzantine Empire. 2 Vol. (Paris, 1952).

Wand (J. W. C.):

A History of the Early Church to A. d. 500 . (London, 1977).

Wdedck (H. E.) :

Concise Dictionary of Medieval History (London,1964).

Encyclopaedia Britannica. Vol. .1. (London, 1965)

Encyclopaedia Americana. Vol. 1. (U. S. A., 1962).

The Oxford Classical Dictionary.

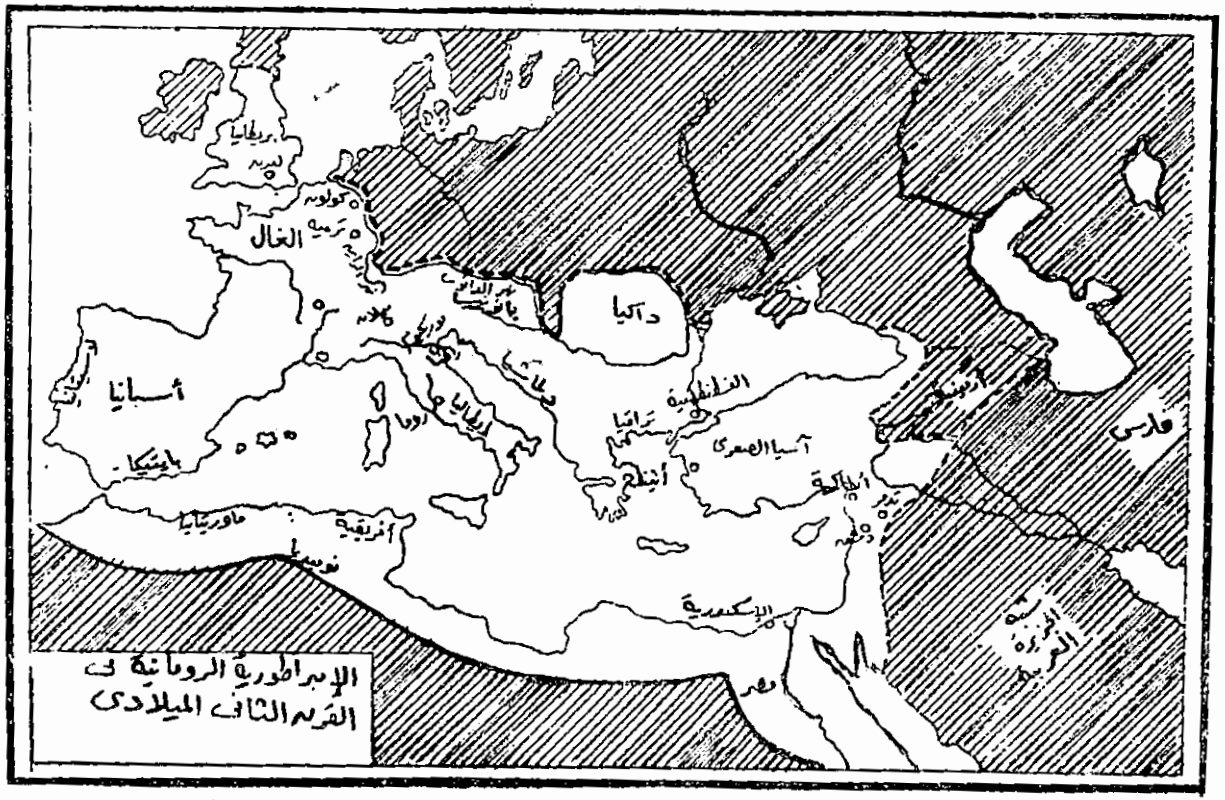

الإمبراطورية الرومانية في القرن الثاني الميلادي

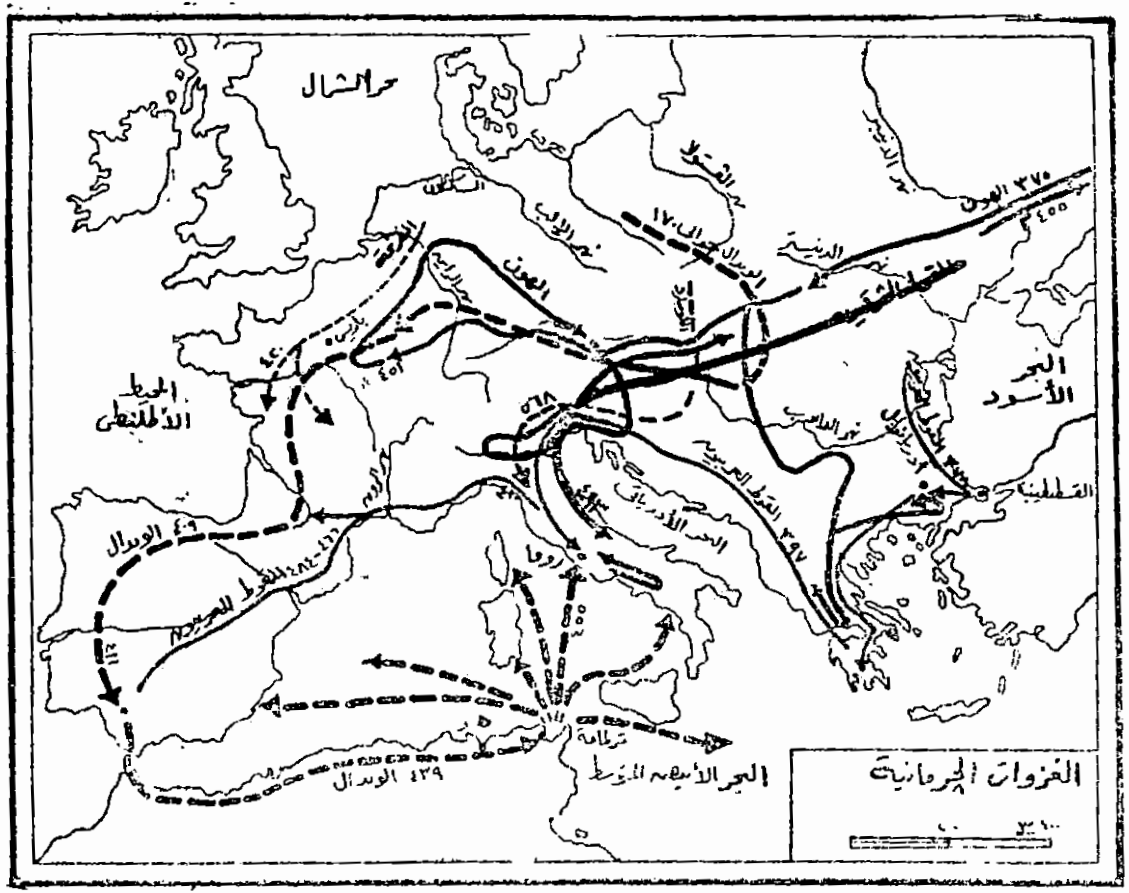
بحر الشمال
المحيط الأطلنطي
البحر الأسود
البحر الأبيض المتوسط
روما
قرطاجة
القسطنطينية
الغزوات الجرمانية

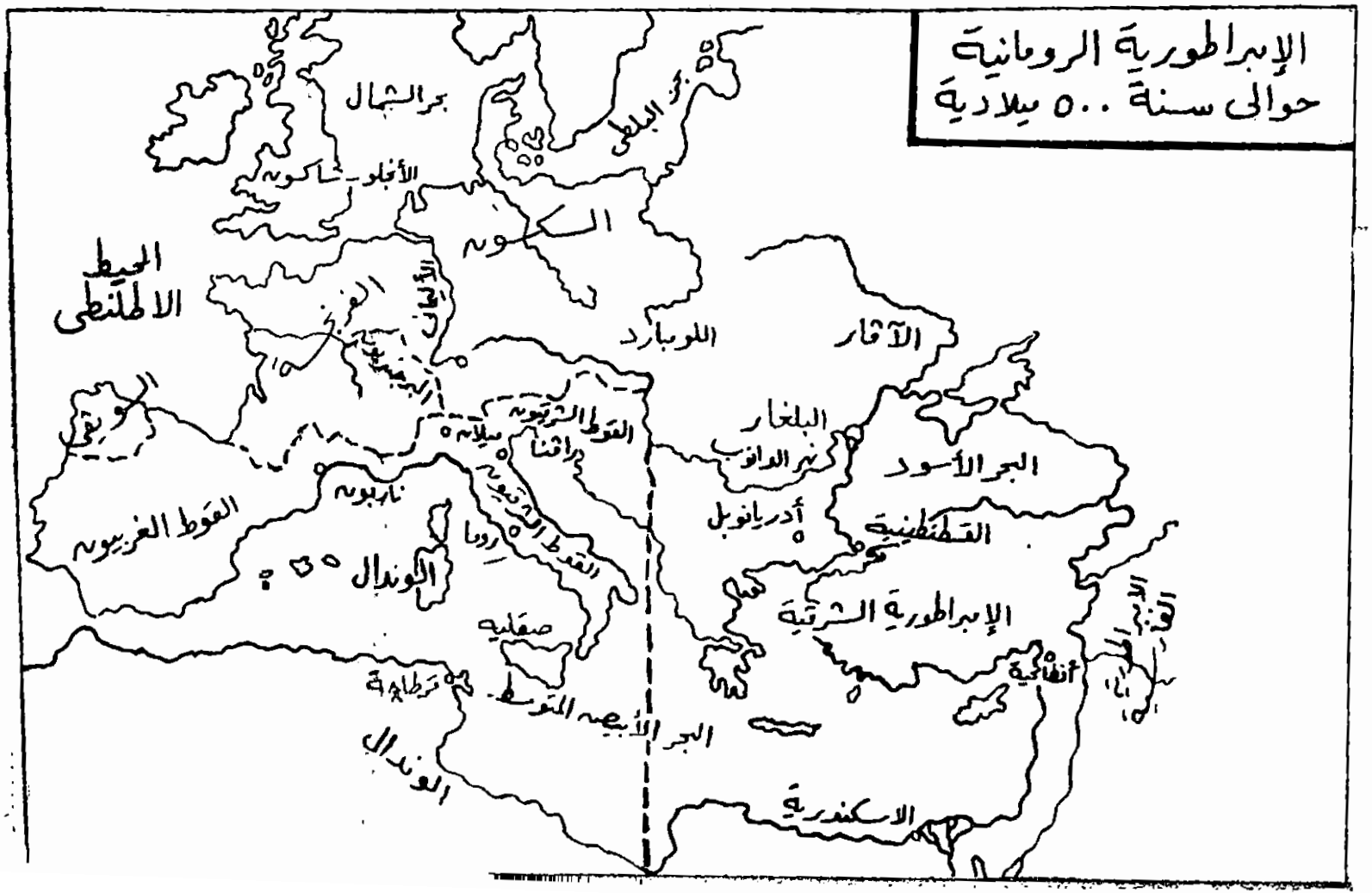
الإمبراطورية الرومانية
حوالى سنة ٥٠٠ ميلادية
بحر الشمال
الأنجلو ساكسون
البلطى
السكوب
المحيط الاطلنطى
الفرنجة
اللومبارد
الآفار
البلغار
نهر الدانوب
القوط الشرقيون
ميلانو
راڤنا
القوط الغربيون
ناربون
روما
الوندال
صقلية
قرطاجة
البحر الأبيض المتوسط
الوندال
أدريانوبل
القسطنطينية
البحر الأسود
الإمبراطورية الشرقية
أنطاكية
الاسكندرية